

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01026 9078

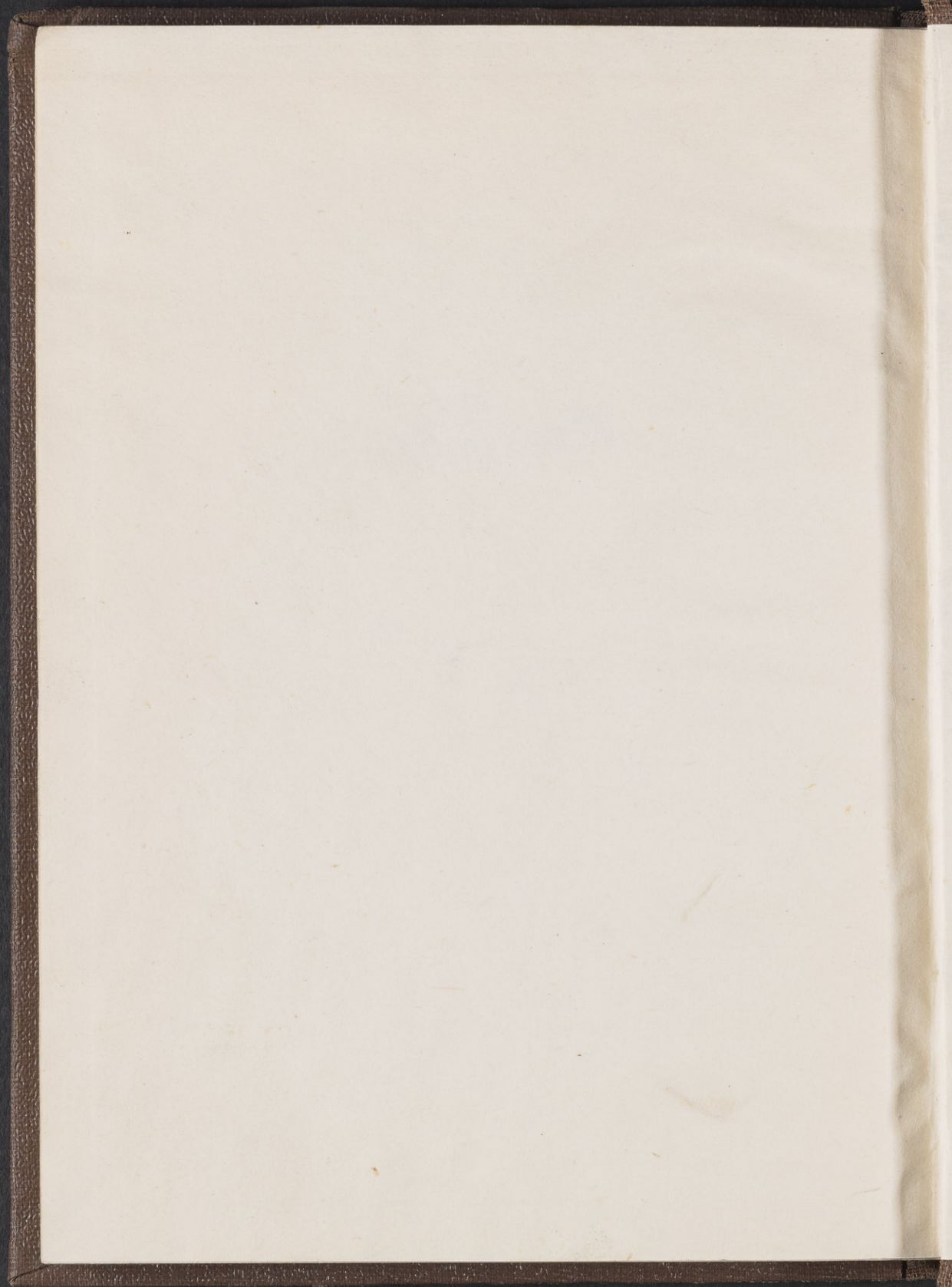
02-34683

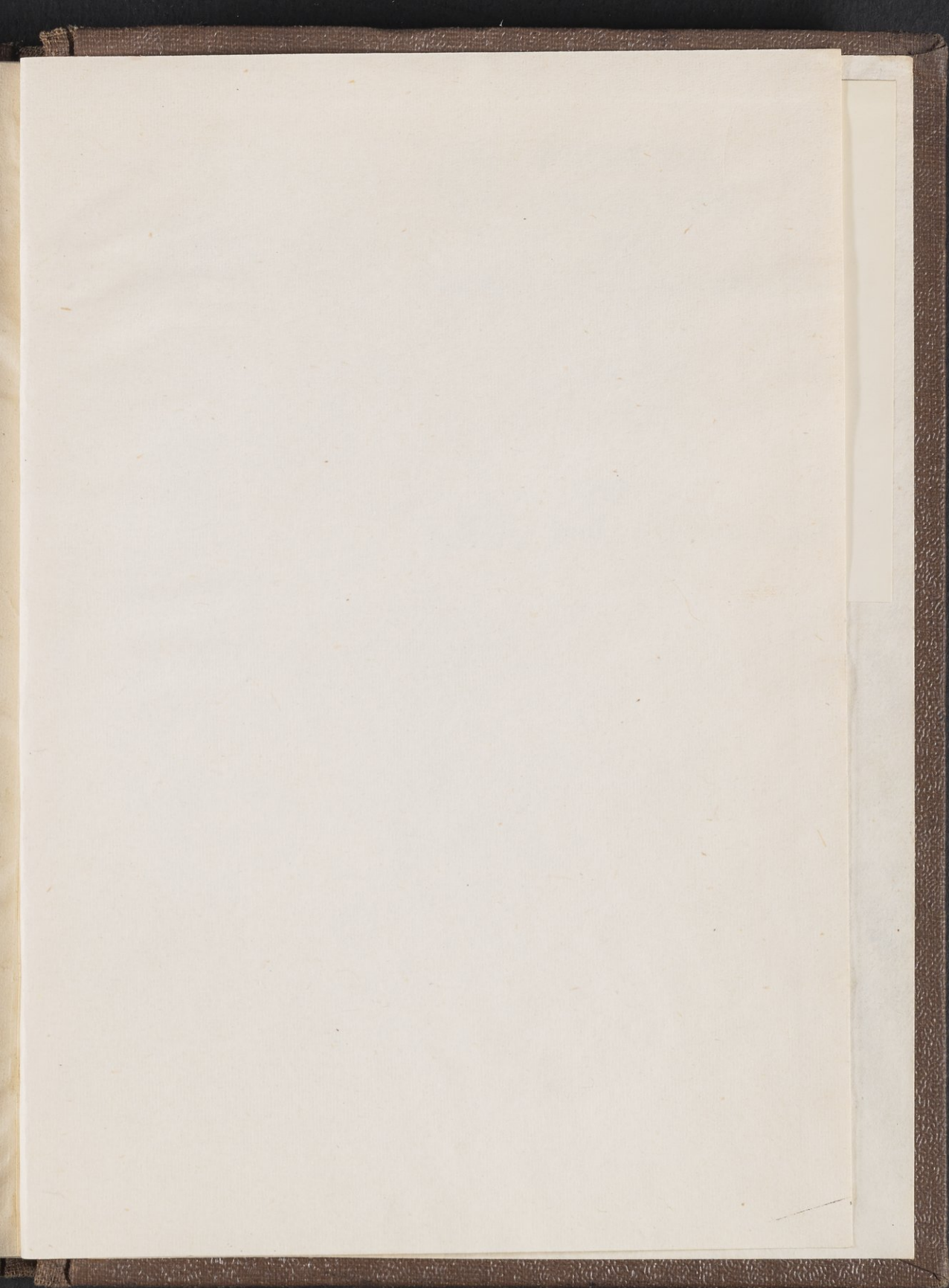
Sept 24 1972



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة





أحمد الأول

Handwritten text, possibly a signature or name, in the center of the page.

عادل الغضبان

PJ
7826
H 22
A 5
1955

أحمس الأول

مأساة ذات ثلاثة فصول

نالت جائزة وزارة التربية والتعليم بمصر .



ملئزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

١٩٥٥

oclc
318940979

B1286285x
14440933

٨١٩, ٦
١٠٤٤

٧٦٦٥٠

المجد والفن

صَفْحَةٌ مِنْ سِفْرِ مِصْرَ الْعَجَبِ قَامَ يَجْلُوهَا لِسَانٌ عَرَبِي
 يَجِدُ الْقَارِئُ فِي أَسْطُرِهَا عَبْرًا تَرْوِي حَدِيثَ الْحَقِّ
 إِنَّ فِي مِصْرَ نَفُوسًا حُرَّةً تَطْلُبُ الْعِزَّ وَلَوْ فِي الشُّهْبِ
 نَشَرَ التَّمَثِيلُ مِنْ عِزَّتِهَا مَا أَنْطَوَى فِي ظِلْمَاتِ الْحُجُبِ
 يَا لَفَنِّ رَافِلٍ فِي عَصْرِ نَا بِثِيَابِ زَاهِيَّاتٍ قُشْبِ
 فِيهِ تَهْذِيبٌ وَفِيهِ حِكْمَةٌ وَمَشَارٌ لِلشَّجَى وَالطَّرَبِ
 هُوَ لِلجَاهِلِ دَرَسٌ صَادِقٌ وَهُوَ لِلْعَالِمِ بَعْضُ الْكُتُبِ
 عِظَةٌ لِلنَّاسِ فِيهَا أُرْتَسَمَتْ صُورُ الْجِدِّ بِلَوْحِ اللَّعِبِ

عادل الغضبان

بيان

قد يكون من المفيد أن أذكر لقراء هذه الرواية ما يلي من بيان وتفصيل .

كان القائد المصري أو الجندي في ذاك العهد يفتخر بقطع أيدي الأسرى .

كان المصريون يطلقون على الرعاة أسماء احتقار وازدراء ويطلقون على كتائب الجيش أسماء الآلهة من مثل كتيبة « فتاح » وكتيبة « رع » وما إلى ذلك .

كان حاكم النوبة الخاضع لمصر يسمى « ابن قوش » . عرف المصريون في ذلك العهد الخيل وقيل إن الرعاة هم أول من جاءوا بها إلى مصر .

كان من عادة أبناء الملوك أن يصحبوا معهم في الحروب أسوداً . كان أكبر رجل في البلاط الملكي يسمى « رئيس العيون » . كانت الفضة في ذلك العصر تسمى الذهب الأبيض وكانت النقود المتداولة حلقاناً من الذهب أو الفضة .

أما الناحية التاريخية فقد اجتهدتُ أن أمثل التاريخ في هذه الرواية تمثيلاً صادقاً بحيث تكون فصلاً صحيحاً من سفر ذلك العصر فبعض أشخاص الرواية هم ممن عاشوا في ذلك العهد وجاء ذكرهم في التاريخ حتى إنَّ وصف موت سكتنرع ووصف دفاع الميت عن نفسه ووصف حياة « ابن أبانا » قائد كتيبة « أمون » كل هذا مستقى من عيون كتب التاريخ . على أنني لم أتسامح إلا في أمرين :

١ - ذكر التاريخ أن بين قواد أحس الأول قائداً يسمى أحس بن أبانا فسميته ابن أبانا فقط دفعاً للالتباس الذي قد يقع فيه النظارة بين ذكر أحس الملك وأحس القائد .

٢ - لم يكن الرعاة معروفين في ذلك العصر بهذا الاسم غير أنني اضطررت إلى إطلاق هذه التسمية عليهم خشية أن يشكل على الجمهور معرفة أي عدو يحدث عنه .

وبعد فما هذه الرواية إلا إلماع إلى صفحة مجيدة من تاريخ مصر العظيم ولعل التوفيق لم يجانبني كثيراً فيما التمسته من نشر تلك الصفحة ناطقة بما عُرف عن شعب مصر من شمم وإباء وثورة على البغي وتقديسٍ للحرية . . .

عادل الغضبان

أشخاص الرواية

- أحمس الأول - ملك مصر ابن الملك سكينرع وأخو الملك خاموس .
فرباس - الوزير .
حابي - رئيس العيون .
منزوفيس - صاحب الخزانة .
رئيس الكهنة -
تاسو - جاسوس مصري .
نزيتا - حبيبة أحمس وابنة حابي .
تاخوس - قائد كتيبة أمون .
ابن أبانا - « » « » بعد تاخوس .
روزر - « » « » فتاح .
نختون - « » « » رع .
طاهو - رئيس حرس قصر الملك .
أپوفيس - ملك الرعاة .
ساتان - قائد فرقة في جيش الرعاة .
بيان - « » « » « » « » .
رئيس حراس قلاع أفاريس .
حجاب وجنود وراقصات .

تجري حوادث هذه الرواية على عهد الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد. فالفصل الأول يقع في طيبة عاصمة المصريين. والفصل الثاني على أسوار أفاريس القاعدة الحربية للرعاة. والفصل الثالث في قصر ملك الرعاة داخل قلعة من قلاع أفاريس .

الفصل الأول

تجري حوادث هذا الفصل في غرفة العرش من قصر ملك مصر في طيبة .

المشهد الأول

فرباس . حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة .

منزوفيس : ... أَمَا أَنَا فَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِشَرِّ مُسْتَطِير .

فرباس : فِيمَ هَذَا التَّشَاوُمِ يَا مَنزُوفِيسَ . وَعَلَامَ تَفْتَحُ صَدْرَكَ
لَأَفَاعِي الْيَأْسِ تَنْهَشُهُ ضِلْعًا ضِلْعًا . أَيْسَقَطُ فِي يَدِكَ
وَأَنْتَ الرَّجُلُ الْجَلْدُ الصَّبَّورُ . فَلَنْ انْقَطَعْتَ عَنَّا
أَخْبَارُ مَلِيكِنَا خَامُوسَ إِنَّكَ لَتَعْرِفُ مَدَى شَجَاعَتِهِ
وَبَسَالَتِهِ وَتَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ قُوَّةَ جَيْشِنَا وَشِدَّةَ بَأْسِهِ
وَطُولَ مَرَّاسِهِ لِلْحُرُوبِ .

منزوفيس : لَا نُنْكِرُ عَلَيْكَ يَا فَرَبَاسَ وَأَنْتَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ فِي

البلاد أنك تُفرغ في سياستها منتهى الحزم والحكمة
والسداد. غير أن ذلك الجيش الذي تحدث عنه
إنما هو خيال لتذكّر حبيب. فقد خارت قواه
وتمزقت أوصاله منذ أن أنشَبَ الغاصبُ المجتاح
أظفاره المسنونة السامة في جسم البلاد وضرب
على أبناء مصر الذلة والمسكنة. فأنتى تلتمس
الشجاعة فيمن يتنزى في حلق الحديد وتعض
ساعديه نيوب الأصفاد والأغلال.

حابي : ما عهدناك خائر الهمة واهن العزم يا منزوفيس...

منزوفيس : لستُ بخائر الهمة ولا واهن العزم. ولكنني رجلٌ

لا تغشى عينيه غاشية الوطنية فتحرمة رؤية الحقائق
على وجهها الصحيح. وإني كذلك رجلٌ لا أخادع
نفسي ولا أنظر إلى الأشياء بعين الأمل الكاذب
والوهم الخلب.

رئيس الكهنة : كلُّنا ذلك الرَّجُل . وَمَعَاذَ الْآلِهَةِ أَنْ نُغْلِبَ الْأَوْهَامَ
على الحقائق .

منزوفيس : إِذْنِ قُولُوا إِنِّي عَلَى حَقٍّ فِيمَا يَسَاوِرُنِي مِنْ رِيبٍ
وَشَكُوكٍ .

فرباس : إِذَا نَحْنُ شَفَعْنَا الرِّيبَ وَالشَّكُوكَ بِالْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ
أَذْلَهُمَّ فِي نَوَاطِرِنَا كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ .
وَنَفَرَتْ مِنَّا طُيُورُ النَّصْرِ مُصْطَخِبَةً جَاذِعَةً شَاكِيَةً .
نَحْنُ لَا نَجْهَلُ مَا جَرَّ الْعَدُوُّ عَلَى بِلَادِنَا مِنْ نَكَبَاتٍ
وَرَزَايَا لَيْسَ أَعْظَمُهَا اغْتِصَابُ أَرْضِينَا وَالِاسْتِثَارُ
بِخَيْرَاتِنَا وَتَكْيِيلُنَا بِنِيرِ الْعِبُودِيَّةِ . كَلَّا . إِنَّ الْعَدُوَّ لَمْ
يَدْخِرْ وَسْعًا وَجَهْدًا مِنْذُ قُرُونٍ خَمْسَةٍ إِلَى الْيَوْمِ
فِي تَحْطِيمِ قَوَى الشَّعْبِ لِيَجْرِدَهُ مِنْ كُلِّ نَزْعَةٍ إِلَى
الْعِزَّةِ وَالْحُرِّيَّةِ وَلِيَطْبَعَهُ عَلَى الذُّلِّ وَالْخُنُوعِ فَلَا تَقُومُ
لَهُ قَاعَةٌ . عَمَدًا إِلَى الْفَسَادِ فَنَشَرَهُ فِي الْبِلَادِ لِيَكْبَحَ

بِالْفِسْقِ وَالْخُلَا جَاحِ الْإِبَاءِ فِي النَّفُوسِ . وَتَحَكَّمْ فِي
عِبَادَاتِنَا وَعَادَاتِنَا فِي مَلَاهِينَا وَأَغَانِينَا فِي مَوَاسِمِنَا
وَأَعْيَادِنَا لِنُنَازِلَ بِالشَّعْبِ عَنْ تَذَكُّرِ مَاضِيهِ الْمَجِيدِ
فَلَا يَعْصِي وَلَا يَثُورُ . . .

حَاجِي : وَتَثَرَّ الْمَالِ فِي شِرَاءِ بَعْضِ ضِعَافِ النَّفُوسِ فَكَانُوا
السُّمَّ فِي الدَّسَمِ . . . إِنِّي أَمِينُ الْقَصْرِ وَرئيسُ
الْعِيُونِ فِيهِ فَمَا خَفِيتُ عَنِّي خَافِيَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْإِثْمِ
الْمُنْكَرِ . . .

فَرَبَاسُ : أَجَلٌ . . . لَقَدْ بَدَأْنَا نَحَارِبُ الْعَدُوَّ فِي مَيْدَانِ النَّفْسِ
وَالْفِكْرِ قَبْلَ أَنْ نَزِمِي فِي وَجْهِهِ بِجِيُوشِنَا الْبَاسِلَةِ .
أَفَتَضْعُفُ يَا مَنْزُوفِيْسُ وَتَسْتَكِينُ دُونَ هَدَفِنَا الْأَكْبَرِ
وَعَايَتِنَا الْمُثَلَّى .

مَنْزُوفِيْسُ : حَاشَا أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الضَّعِيفَ الْمُسْتَكِينِ . غَيْرَ أَنَّي
صَاحِبُ الْخِزَانَةِ فِي الدَّوْلَةِ فَالْوَاجِبُ يَقْتَضِينِي أَنْ

أقول لكم إن الخزانة فارغة خاوية . . قضينا حتى
اليوم خمس عشرة سنة ونحن في حربٍ سِجالٍ دون
أن نفوزَ بَطائِل . ولعلَّ الآلهة ترى أن الوقت لما
يَحِنُّ حتى نعيشَ أحرارًا . فأَمَّا وهؤلاء الرعاةُ هم من
المنعة والقوة بحيثُ تعلمون فأحرِبنا أن نكفَّ
عن الكِفاحِ ونُبقيَ على تلك الأرواحِ العزيرة التي
ترهقُ هَدَرًا وعلى الأموال الضخمة التي تُنفقُ
عَبَثًا . . .

فرباس : أترضى أن تحيا في وطنك عبدًا ذليلًا تؤدِّي
الجزيةَ والخراجَ لقومٍ هم حُثالةُ الشعوب .
رئيس الكهنة : وشرُّ البليَّة أن هؤلاء الرعاة لم يكفِّهم ما أفسدوه
في عبادتنا فأرادوا أن تُقلِّعَ عن عبادةِ الإلهِ آمون
ونعبدُ إلههم سَوْتِيخَ فهل بعدَ هذا من ذلٍّ
واستعباد .

فرباس : ماهي إلا ذريعةٌ تُتخذُوها للقضاء على البقية الباقية
من عزتنا وكرامتنا .

رئيس الكهنة : أجل . وكلُّنا يذكرُ تلك الرسالة التي بعث بها
ملكهم إلى الملك سيكنرع رحمةُ أمون عليه .

حابي : كانت أول شرارة طارت من لهب الحرب .

رئيس الكهنة : كيف لا وقد أمرنا أن نصطاد ما في النيل من
تماسيح حتى لا يُعكّر صفيروها على ملكهم صفاء
رُقاده .

حابي : كأن صفيرو التماسيح في طيبة يصل إلى ممفيس .

فرباس : فهم الملك سيكنرع يومئذ أن لا مناص من الحرب
فأرهف لها غرار عزمه وعبأ الكتائب وجهز
الجيوش وسار يكافح دون الحمى حتى ذهب شهيداً
وطنه .

منزوفيس : لا فائدة من إحياء ذكرى ما سلف . فلنا الساعةُ

التي نحن فيها ... حربٌ أَتَتْ على الزَّرْعِ
والزَّرْعِ وليس لنا من احتدامِها بريقٌ أملٍ في
النَّصرِ . فهل أنتم مُصِرُّون على الذَّهابِ فيها حتَّى
النَّهاية .

نعم . حتَّى النَّهاية . فإنَّ الذي يَمْنَعُ للذَّلِّ والهوانِ
غيرُ جديرٍ بالحياة . وعارٌ علينا إذا نحنُ نَشَدْنَا
الحريةَ أن لا نَمُضِيَ في نَشْدِها حتَّى آخرَ رَمَقٍ .
فإمَّا نصرٌ يُقِيلُ الوطنَ من عِثاره وإمَّا موتٌ على
شَفَرَاتِ السُّيُوفِ وأَسِنَّةِ الرِّمَاحِ .

رئيس الكهنة : ما أقدمَ الملكُ سَكَنَرع على النِّضالِ إلا بعد أن
اسْتَشَرْنَا الآلهةَ فوجدناها راضيةً مغتبطةً فلا إخالنا
إلا منتصرين ولو بعد حين .

منزوفيس : رأيي هو ما علمتُم فاقضُوا بما تَرَوْنَ .

فرباس : أَقْلِعْ عن عِنادِكَ يا منزوفيس فكلُّ انقسامٍ بيننا

يَعْرِضُنَا لِلْهَلَاكِ . وَنَحْنُ لَنْ نَنَالَ مَا نَصْبُو إِلَيْهِ إِلَّا
بِالْإِتِّحَادِ . فَلَا نَنْسَ أَنْ مَلِكَنَا خَامُوسٌ هُوَ الْيَوْمَ
هَدَفَ لِسِهَامِ الْأَعْدَاءِ . فَهَلْ تَرِيدُ وَنَحْنُ فِي مَتَتَصِفٍ
الطَّرِيقَ إِلَى النَّصْرِ أَنْ يَدْبَّ التَّخَاضُلُ بَيْنَنَا .
مَا أَنْشَبَ هَؤُلَاءِ الْوَحُوشُ مَخَالِبَهُمْ فِي الْبِلَادِ إِلَّا
بِتَطَاخُنِ رُؤَسَاءِ الْأَقَالِمِ .

حَابِي : لَوْ وَقَفَ صَدِيقُنَا مَنْزُوفِيْسٌ عَلَى مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَنَا
نَفْسِي مِنْ حَمَاسَةِ الشَّعْبِ لَا يَقْنُ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ
نُعِدَّ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْبِ جَيْشًا يَفْتَتِحُ السَّمَاءَ . . .
كَنتُ مَرَّةً أَمْسٍ بِيَعُضِ الْقُرَى وَالْمَزَارِعِ فَرَأَيْتُ
الْفَلَاحِينَ وَالزَّرَّاعَ مِنْ شَيْخٍ وَصَبِيٍّ وَفَتَاةٍ يَتَحَدَّثُونَ
عَنِ الْحَرْبِ وَكُلُّهُمْ شُعْلَةٌ نَارٍ مُتَأَجِّجَةٌ .

فَرَبَاسُ : الرَّأْيُ أَنْ نُرْسَلَ إِلَى سَاحَةِ الْوَعْيِ مِنْ يَأْتِينَا بِأَخْبَارِ
الْمَلِكِ .

(يدخل ويقول :)

الحاجب

بالباب القائدُ تاخوس يُصرُّ على مقابلة سيدي

الوزير .

: أَدْخَلَهُ فِي الْحَالِ .

فرباس

: سَيَأْتِينَا بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ .

منزوفيس

المشهد الثاني

فرباس . حابي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس .

: (منهوك القوى) سلامُ الإلهِ آمون على رئيس الكهنة

تاخوس

وعليكم .

: ما وراءك يا تاخوس فقد أثرتَ فينا الهواجسَ

فرباس

والوساوس .

: كيف تركتَ ساحةَ القتالِ .

حابي

: على شرٍّ ما يكون .

تاخوس

- منزوفيس : هذا ما كان في حسْباني .
- رئيس الكهنة : ولكنَّ الآلهة سمحتْ بهذه الحرب .
- فرباس : (للقائد) تلوحُ على وجهك وَعِشاءُ السَّفر فاجلس
وأفْضِ بما عِنْدَكَ .
- تاخوس : (يجلس) إِنِّي أَهْلُ إِلَيْكُمْ نَبَأُ الْفَاجِعَةِ الْأَلِيْمَةِ الَّتِي
انْتَابَتْنَا .
- فرباس : هل دُحِرَ الْجَيْشُ .
- حابي : هل أُسِرَ .
- تاخوس : لَقَدْ قُتِلَ الْمَلِكُ .
- (الجميع بدهشة وحزن) قُتِلَ الْمَلِكُ . . .
- تاخوس : مات مَيِّتَةً يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا الْأَبْطَالُ .
- فرباس : أَحْبَبَ بِهَا مَنْ مَيِّتَةٍ فِي سَاحَةِ الشَّرَفِ .
- حابي : يَا لِلْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى . يَا لِلْفَاجِعَةِ الْأَلِيْمَةِ . رَحْمَةً
الْآلِهَةِ عَلَيْهِ لَقَدْ كَانَ شَجَاعًا .

رئيس الكهنة : أيها الإله أوزيريس ارحم مليكنا خاموس فقد وفي
قسطه للبلاد .

منزوفيس : وكيف وقعت النازلة يا تاخوس .

تاخوس : كنا في طريقنا إلى ممفيس على رأس جيشنا العظيم
فما زال الملك هاجماً وكتيتي تحيط به إلى أن توغلنا
كثيراً في الهجوم . . . فنشبت بيننا وبين كتيبة
من العدو معركة هائلة أعملنا فيهم الطعن والضرب
حتى غطت رؤوسهم المتدحرجة وسواعدهم المبتورة
ساحة القتال . وحتى داست أشلاءهم سنابك
الخيول . . . فما هو إلا أن فاجأتنا جماعة من الرعاة دهمت
الملك على حين غرة . فأصيب بسهم في صدره خر
على إثره صريعاً . . . فمض الدم يتدفق من صدره
يحاول معاودة القتال . . . فلما رأته خائر القوى
حملته بعيداً من الخطر . وارتمت عليه أضمد جراحه

بِقَطْعٍ مِنْ ثِيَابِي . (يري بعض ثيابه الممزقة) ولكن

وَاحْسَرْتَاهُ لَمْ يَمُهَلِّهِ الْمَوْتُ غَيْرَ دَقَائِقَ مَعْدُودَاتٍ .

: لَقَدْ لَحِقَ بِأَيِّهِ مُسْتَشْهِدًا فِدَى الْوَطَنِ .

فرباس

: ذَكَرْتُني بِأَيِّهِ رَحِمَتْهُ الْآلَهُةُ . فَكَأَنِّي أَرَاهُ يُضْرَبُ

تاخوس

وَيَطْعَنُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّامَلِ . . . تَلْقَاهُ وَغَدُ

بَطْنُهُ نَجْلَاءَ شَرَمَتْ لَهُ أَنْفَهُ . . . فَبَضْرِبَةٍ عَلَى

وَجْهِهِ أَطْبَقَتْ فَكَّيْهِ عَلَى لِسَانِهِ . . . فَبَأْخَرَى عَلَى

أُمِّ رَأْسِهِ جَدَلَتْهُ مُضَرَّجًا بَدْمَهُ . وَيُنْجِي أَنَا الشَّقِيَّ

أَشْهَدُ مَوْتَ مَلِكِيَّ وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَفْتَدِيَهُمَا

بروحي .

: وَهَلْ دَخَلَ الْجَيْشُ مُمْفِيسٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

فرباس

: كَلَّا وَاسْفَاهُ . فَإِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَوْتِ الْمَلِكِ يَدُسُّ

تاخوس

فَتَقْهَرُ وَعَمَّتْ فِيهِ الْفَوْضَى فَهَرَعَتْ أَنَا إِلَيْكُمْ لَتَنْظُرُوا

فِي الْأَمْرِ بِحَكْمَتِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَتَسَلَّمْ قِيَادَةَ الْجَيْشِ قَائِدٌ

حازمٌ يَلْمُ أَشْتَاتَهُ وَيُقَوِّي عَزِيمَتَهُ وَيُبْتُ فِيهِ
روحَ الشَّجَاعَةِ أَبَادَنَا الرَّعَاةُ عَنْ آخِرِنَا .

: رجاؤنا معقودٌ على الأميرِ أحسَ فلعلَّ النَّصْرَ
يواتينا على يديه .

فرباس

: (للقائد) أَلَمْ يُوصِكَ الْمَلِكُ بِشَيْءٍ قَبِيلَ مَمَاتِهِ .

حاجي

: سألني وهو يجودُ بروحه هل انتصرنا . قلتُ نعم .
قال أموتُ وتحيا بلادي .

تاخوس

(الجميع يظهرون علامات الجزع والحزن
ثم يقطع فرباس حبل الصمت ويقول)

: أَيُّهَا الرِّفَاقُ . لَقَدْ عَدَّتْ عَلَيْنَا الْعَوَادِي وَأَصَابَتْنَا فِي
الصَّمِيمِ . فَمَا مِنْ خَطْبٍ أَجَلٍّ وَأَفْدَحَ لِلْجَيْشِ
الْمُقَاتِلِ مِنْ أَنْ يَفْقَدَ قَائِدَهُ الْمَغْوَارَ وَهُوَ يَخُوضُ بِهِ
غَمَرَاتِ الْقِتَالِ وَيَقُودُهُ إِلَى غَايَاتِ الْمَجْدِ وَالْفَخَارِ .
وَلَكِنْ مَهْمَا جَلَّ الْخَطْبُ وَفَدَحَ فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَذْهَلَ

فرباس

وَأَنْ لَا تَتَضَعُضَعَ . فَالْمَحَنُ هِيَ النَّارُ الَّتِي تُبْدِي
 مَعْدِنَ الرِّجَالِ . فَلَنَضْهَرُ بِهَا أَنْفُسَنَا . وَلَنُرِ الْأَعْدَاءُ
 أَنَّ مَعْدِنَنَا نَفُوسُ أَيْيَةٍ وَهُمْ عَالِيَةٌ لَا تَلِينُ لِأَصْحَابِهَا
 قَنَاقَةٌ وَلَا يَنَالُ مِنْهَا الْيَأْسُ وَالْخَوَرُ فِي عَاصِفِ الدَّهْرِ
 وَزَلْزَالِهِ . لَقَدْ ذَهَلْنَا لِلنَّكْبَةِ الْقَاصِمَةِ وَتَرَنَحْنَا مِنْ
 هَوْلِ ضَرْبَتِهَا . فَحَقِيقٌ بِنَا أَنْ نَشُوبَ إِلَى الرُّشْدِ
 وَالصَّبْرِ وَأَنْ نُهَيِّبَ بَعِزَائِمِنَا الْقَوِيَّةَ وَنَسْتَلْهِمَهَا
 الرَّأْيَ السَّدِيدَ . وَإِنِّي لِأَطْمَعُ أَنْ يُصَارِحَنِي كُلُّ
 بَرَأْيَةٍ لِنَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ الَّذِي وَقَعْنَا فِيهِ بَعْدَ
 مَوْتِ الْمَلِكِ . . . قُلْتُ مِنْذُ قَلِيلٍ إِنَّ رَجَاءَنَا مَعْقُودٌ
 عَلَى الْأَمِيرِ أَحْمَسَ فَمَاذَا يَقُولُ سَيِّدِي الْكَاهِنُ
 الْأَعْظَمُ .

رئيس الكهنة : أَرَى رَأْيَكَ يَا فَرَبَاسَ فَالْأَمِيرُ أَحْمَسُ هُوَ مَنَاطُ الْأَمَلِ
 وَمَعْقَدُ الرَّجَاءِ .

فرباس : وما قولك أنت يا حابي .

حابي : إنه لنعم الخلف . ولئن نَحَّاه الملك عن أتون الحرب
إشفاقاً منه على شبابه النَّضِيرِ إن الآلهة قد أعدته
لمثل هذه الساعة . وإني لأعلم أنه يتحرَّقُ شوقاً إلى
النِّزال والجهاد .

فرباس : وأنت يا تاخوس .

تاخوس : لا أرى إلهاً قائداً يُعْقَدُ له لواء الجيش .

فرباس : وأنت يا منزوفيس . أترى غير هذا الرأي .

منزوفيس : كلا . فالرأيُ مارأيتم جميعاً ولئن سمعتموني منذ قليل

أنددُ بالحرب وأشفقُ من عواقبها وأفصحُ عما

يخامرني من يأسٍ وقنوط لقد دفعني إلى ذلك نقصانُ

المال في أيدينا . فلما لُ قبل شجاعة الشُّجَّان .

وهو عُدَّةُ الحرب وسلاحُها وعَوْنُ ثمينٌ للبسالة

والإقدام . أمّا وقد ضاقت بنا المسالك فمات الملك

وُدَحِرَ الجيش وذهب المال بَدَدًا فَلَنَمَشِ وراء الأمير
أَحْسَ في نفوس مخلصية وَفِيَّة وقلوب لا تخشى
العدى ولا ترهب الردى . فَلَلَمَوْتُ أَهْوَنُ على
الحر من حياة يجرعها غصص ذل وهوان .
: مَرَحَى . مَرَحَى يا منزوفيس . بارك أمون فيك فإنك
لَعَلَى ما عهدتكَ عليه نُبَلًا وَوَطَنِيَّة .

فرباس

(ثم يوجه الخطاب إلى رفاقه ويقول :)

أَيُّهَا الرِّفَاق الكرام . أَصِيخُوا إِلَيَّ بِسَمْعِكُمْ قَلِيلًا .
إِنْ مَصْرُ أَحْوجُ ما تَكُونُ اليومَ إِلَى قَائِدٍ مِنْهَا إِلَى
مَلِك . لَقَدْ أَجْمَعْنَا على اختيار الأمير أَحْسَ مَلِكًا
وَقَائِدًا في حين أَنَّ العرشَ يُؤَوَّلُ إلى شقيقته الأَمِيرَةِ
نَفِرَتاري .

: ما إِخَالُ الأَمِيرَةِ نَفِرَتاري تَسْتَطِيعُ أَنْ تُنْقِذَنَا
من هذا البلاء المحيق بنا .

حابي

فرباس

: هذا صحيح . ولكن لا ننس أن للأميرة أعواناً
 وأنصاراً تغلي في صدورهم مراجل الجشع والطمع .
 فعلينا أن نتخذ للأمر عُدَّتَه فلا نترك لأفغى الفتنة
 شقاً تطل برأسها منه ولا مسرباً تنفث منه سمها
 الزُحاف .

منزوفيس

: وماذا لو نزلت الأميرة إلى الدولة عن أموالها الطائلة
 فاستعنا بها على نفقات هذه الحرب الضروس كما
 فعلَ مليكنا خاموس والأميرُ أحس .

فرباس

: لكأنك تشعُر بما يدورُ في خلدي يا منزوفيس .
 فلا يكفي أن يستويَ الأميرُ أحس على العرش بل
 يجب كذلك أن يتزوجَ شقيقته الأميرة نَفِرَتاري
 فنقطع بهذا الزواجِ دابرَ الفِئنة ويكون لنا من أموال
 الأميرة وشجاعة أحس ما يكفلُ لنا يا ذنِ الآلهة
 النصرَ والظفرَ .

رئيس الكهنة : فإذا لم يرق هذا الزواج في عين الأمير أحس أو
الأميرة نفر تاري . . .

فرباس : زيناهُ لهما وحملناهما عليه . فمصلحة الوطن فوق نوازع
الأهواء .

رئيس الكهنة : وإذا رَفَضَ أن يعتلي عرش أخته .

فرباس : بَصَرْنَاهُ بوخيم العواقب ولكن لا إخاله .

حاجي : إذن نحتفل غداً بتويجه . . .

فرباس : بل نُتَوَّجُه الساعة . . . وليكن الحفل في غد . فقد

نَفَاجاً بما لا ندري ولا نتوقع . . . فعليك أنت

يا حاجي إبلاغ النبأ إلى الأمراء ورؤساء الأقاليم . . .

وعليك أنت يا تاخوس أن تسافر الليلة إلى ممفيس

وتنقل الخبر إلى القواد والجنود وتقول لهم إنَّ

الملك أحس في طريقه إليهم ليقودهم إلى الفوز

والنصر . . . أمّا أنا فأسهر على الأمن والنظام

والويل لمن تحدّثه نفسه بإثارة الفتن والقلقل
فسوف يصلّوها ناراً حامية .

رئيس الكهنة : نَعَمْ الرَّأْيُ رَأْيُكَ يَا فَرَبَاسُ وَنَعَمْ التَّدْبِيرُ تَدْبِيرُكَ .

فَرَبَاسُ : (ينادي الحاجب) يا غلام .

الحاجب : (يدخل) لَبَّيْكَ سَيِّدِي .

فَرَبَاسُ : إِذَا رَجَعَ الْأَمِيرُ أَحْمَسُ فَأُخْبِرُنَا فِي الْحَالِ .

الحاجب : لَقَدْ رَجَعَ الْآنَ يَا سَيِّدِي وَرَبَّمَا كَانَ فِي بَهْوِ الْقَصْرِ .

فَرَبَاسُ : (للحاجب) حَسَنُ . (يخرج الحاجب ثم ينهض فَرَبَاسُ ويقول :)

أَنَا ذَاهِبٌ أَدْعُوهُ إِلَيْنَا . (يخرج فَرَبَاسُ)

المشهد الثالث

حاجي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس .

رئيس الكهنة : آمَلْنَا مَعْقُودَةً عَلَى الْأَمِيرِ أَحْمَسَ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ

الخامسة والعشرين من عمره .

حاجي : لقد جَمَعَت الآلهةُ في هذا الأميرِ الشابِ من علوِّ

الهمةِ والاعتدادِ بالنفسِ ما لو قُسِمَ على أهلِ الأرضِ
لكفاهم . . . طالما رأيتُهُ في ساحاتِ التَّمرينِ يَصْبِرُ

على المكارِهِ حتَّى أُعْجِبْتُ به كلَّ الإعجابِ .

منزوفيس : شاهدتُهُ أنا يوماً يُروِّضُ أسداً هائلاً فذهشتُ

لشجاعته وقوته .

الحاجب : (يدخل) مولاي الأميرِ أحْمَسُ . (يدخل أحْمَسُ وفر باس

فيهض الحضور وقوفاً)

المشهد الرابع

حاجي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخوس . أحْمَسُ . فر باس .

رئيس الكهنة : السَّلامُ على الإله الملكِ أحْمَسُ الأولِ . باركت الآلهةُ

ابنَ سِكِنَرَعِ وأخا خاموس .

أحْمَسُ : لم أعود أن أدخلَ عليكم فتحيوني بتحيةِ الملوكِ .

رئيس الكهنة : جاء القائدُ تاخوس ينبئنا بخطبٍ جَلَل .

فرباس : بخطبٍ ضَعُضَعَ صَفُوفُنَا .

أحمس : بحقِ الآلهةِ إلَّا تكلَّمْتُم سريعا .

تاخوس : مات الملك .

أحمس : مات أخي . . . (يبدو عليه الجزع والحزن)

تاخوس : مات أشرف مِيتة .

فرباس : مات الأسدُ مدافعا عن العرين .

حاجي : وخلف لك القيامَ بأعباءِ المُلك .

أحمس : أنا . . . ولكنَّ المُلكَ من حقِّ شقيقتي الأميرة

نفرتاري .

فرباس : إن المحنةَ الجائئةَ فوق صدر البلاد لتتطلبُ من

الأميرة أن تنزلَ لك يا مولاي عن حَقِّها في

العرش وكلنا كفيلٌ بإقناعها . أفترددُ الأمير في

النهوضِ بأعباءِ المُلك وتسلمُ زمامَ الجيشِ والسَّيَر

به إلى غايات العزة والفخر .

أحمس : لا . لا . فننفي تنوق إلى القتال وإلى سفح دمي

في سبيل الوطن . ولقد كنت أنتظر بصبرٍ ذاهب
إشارة من أخي أطيّر بعدها إلى الكفاح معه جنباً
إلى جنب .

أما وقد استشهد في ميدان الشرف فساخلفه
قائداً ومليكا . وأقسم وأمون لأطهرنَّ الوطن
من رجس الأعداء وأردنَّ كيد هؤلاء الرعاة
الأرذال في نحورهم وأنتقمن لأبي وأخي شرَّ انتقام .
نعمت الحماسة حماسك . حرسك الآلهة في حلك
وترحالك . وقادت خطاك إلى الظفر فعزة الوطن
منوطة بشجاعتك .

رئيس الكهنة : هل بينكم أيها السادة من يأخذُ على الأمير أحمس
مأخذاً يحول دون تتويجه ملكاً على مصر .



جميع الحضور : لا . لا .

رئيس الكهنة : (موجهًا الخطاب إلى أحس) هل تُقسِمُ بآلهة مصر وأرضها المقدسة وبفيضان النيل والمعابد المباركة والأهرام الخالدة .

أحس : نعم أقسم .

رئيس الكهنة : هل تُقسِمُ أن تحكم مصر بالعدل والقسطاس مقدسًا قوانينها الموروثة محافظًا على عبادة آلهتها هادمًا غير أصنامها واقفًا حياتك على تحرير بلادك والدفاع عنها دون كل غاصب محتاح .

أحس : نعم أقسم .

رئيس الكهنة : إذن أتوجك أنا الكاهن الأعظم لهيا كل رع وأمون وفتاح ملكًا على مصر . وأبارك روحك وجسدك يا أمل مصر ورجاءها .

فرباس : عاش مليكنا أحس .

أحمس : شكراً للآلهة .

الحاجب : (يدخل فيخاطب الوزير)

بالباب تاسو يستأذن في الدخول .

فرباس : (متلهفاً) ليدخل على الفور (يخرج الحاجب) .

المشهد الخامس

حاي . منزوفيس . رئيس الكهنة . تاخرس . أحمس . فرباس . تاسو .

تاسو : (يدخل ويحيل أنظاره في الحاضرين) سلامُ الإله آمون .
(ثم متردداً)

فرباس : تكلم ولا تخشَ بأساً فأنت بحضرة مليكنا
أحمس الأول .

تاسو : (يخاطب الملك متلعثماً) حيثك الآلهة (متردداً) .

أحمس : أفض بما تريد أيها الرجل .

تاسو : (متردداً) إنَّ ما عندي . (يسر فرباس إلى أحمس أن تاسو

جاسوسه الخاص)

أحمس : (يخاطب الحاضرين) اتركوني وفرباس وهذا الرجل .

(يهمون بالخروج)

فرباس : لَيْسَ رِعْ كُلُّ مَنْكُمْ فِي أَدَاءِ وَاجِبِهِ عَلَى نَحْوِ مَا قَرَّرْنَا .

(يخرجون)

المشهد السادس

أحمس . فرباس . تاسو .

أحمس : (موجهًا الخطاب إلى تاسو) تَكَلَّمْ . ما وراءك من الأخبار .

تاسو : أَخْشَى إِنْ أَنَا فَهْتُ بِمَا عِنْدِي أَنْ أَثِيرَ غَضَبَ

مولاي .

أحمس : أَنْتَ فِي أَمَانٍ .

تاسو : ابْنُ قَوْشٍ حَاكِمُ النُّوبَةِ وَصَلَ إِلَى طَبِيعَةٍ .

أحمس : جَاءَ وَلَا شَكَّ يُوَدِّي الْجَزِيَّةَ .

تاسو : لَا . لَقَدْ جَاءَ يَسْعَى لِأَمْرِ خَفِيٍّ .

أحمس : وما هو .

تاسو : هو السَّعْيُ في أن يتزوَّج الأميرة نفرتاري شقيقة مولاي .

أحمس : (محتدأً) تَبَّأَ له من زنيم . أَيْجَسُرُ أن يتطلَّعَ إلى شقيقتي نفرتاري وهي ابنة ملك وأخت ملك .

تاسو : ثم عرفتُ بعدما بذلتُ خمسينَ حلقاً من الذهب وخمسين حلقاً من الذهب الأبيض .

فرباس : (مقاطعاً) ستأخذها من مال الدولة .

تاسو : أنه يأتمر وبعض أعوانه في شقِّ عصا الطاعة والمناداة به ملكاً على النوبة .

أحمس : (تأخذه سورة غضب) ألم يكفه أن يتطلَّعَ إلى بناتِ

الملوك اللآئي هنَّ في مصاف الآلهة حتى يتجرَّأ

على العصيان ويغني نفسه بالملك . فوحقَّ أمون

لأذيقنه كأس العذاب .

فرباس : (للجاسوس) أأنت على يقينٍ مما تقول .

تاسو : كيف لا وقد اعترف لي خادمه بالمهمة التي جاء

سيّده من أجلها . ما أسعدَ الخدم . عندهم أسرارُ
الدّول وأسرارُ البيوت .

فرباس : بورك في همّتك . انصرف وكن رهن إشارة .

(يخرج تاسو)

المشهد السابع

أحمس . فرباس .

فرباس : يَخَيَّلُ إِلَى أَنَّ ابْنَ قَوْش طامعٌ في عرش النّوبة

فإذا رضيتُ به الأميرةُ بَعْلًا لها وامتزج دُمُه بالدم

الإلهي قويّت شوكتُهُ وعلا سلطانه وربما طَمَحَ

إلى عرش مصر . واعلم يا مولاي أن والد هذا

الحاكم هو من قوَاد أيبك الذين أبلّوا بلاءً حسنًا في

الحروب فلعل انتصاراتِ أيّه قد حملته على الطّمع
في الملك .

أحمس : ولكِنِّي أربأُ بأختي أن تُنيلَ هذا الخائنَ مأربَهُ .
فسيلةُ الملوكِ لا تكونُ جُنَّةً لامرئٍ خائنٍ يَتَّقِي
بها الأخطارَ فيما يطمَحُ إليه .

فرباس : إِنِّي أَنزَرُهُ شقيقَتَكَ الأميرةَ نفرتاري أن تجيبَ
نداءَ هذا الغادرِ العاصي .

أحمس : جُلُّ ما أخشاهُ أن يكونَ بينه وبين أختي أوامرُ
حُبٍّ وغرامٍ فهناك الطَّامَّةُ الكبرى .

فرباس : ماذا تُعني يا مولاي .

أحمس : أَغْنِي أن للحبِّ سلطانًا قاهرًا قد يُهَيِّبُ بالمرءِ إلى
كلِّ خطرٍ وتهلُّكةٍ ... آه ما أعظمَ سلطانهُ وأقوى
سحره في النفوس .

فرباس : أرى من حماسَتِكَ هذه للحبِّ يا مولاي أن بين

جنبيك قلباً يَحْفَق .

أحمس : قد يكون ذلك .

فرباس : لا بدعَ فأنتَ في رِيَعَانِ الصِّبَا ورونقِ الشَّبَابِ .

وهذا العهدُ هو عهدُ الحبِّ . ولكن لا تنسَ الأمرَ

العظيمَ الذي أعدَّتكَ الآلهةُ له . فأنتَ اليومَ ملكٌ

تحيطُ بك الأعداءُ من كلِّ جانبٍ فالسَّبيلُ أمامك

وَعَرُّ كثيرُ المهالكِ .

أحمس : معاذ الآلهةِ أن يشغَلَنِي الحبُّ عن الوطنِ .

فرباس : أعرفُ ذلك أنا الذي تتبَّعتُ أطوارَ حياتِكَ فعرَفْتُ

فيكَ الفتى المِقْدَامِ .

أحمس : سأشدُّ الرِّحالَ غداً إلى محاربةِ هؤلاءِ الرُّعاةِ فأقتلُ

منهم خلقاً كثيراً وأُنقِذُ البلادَ من ويلاتِهِم وشُرورِهِم .

فرباس : لو ثارتِ النُّوبةُ وأعلنتِ العِصيانُ فماذا أنتَ فاعلٌ

يا مولاي .

أحمس : أَوَدَّ بِهَا شَرَّ تَأْدِيبَ .

فرباس : أَعْجَبُ بِشَجَاعَتِكَ وَحِمَاسَتِكَ وَلَكِنْ أَيْنَ تَكُونُ
أَنْتَ مِنْهَا يَا مَوْلَايَ .

أحمس : أَتَبْدِي حُرُوبِي بِتَأْدِيبِ الْعُصَاةِ .

فرباس : مَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . فَالْجِيشُ عَلَى أَبْوَابِ مَمْفِيسَ
فِي انْتِظَارِ قَائِدٍ يَقُودُهُ لِلظَّفَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْجِهَادَ يَا مَوْلَايَ
غَيْرُ مَقْصُورٍ عَلَى مُحَارَبَةِ الْأَعْدَاءِ فِي مِيَادِنِ الْقِتَالِ
وَلَا عَلَى قَمْعِ فِتْنَةِ النُّوبَةِ وَلَا عَلَى إِحْبَاطِ الدَّسَائِسِ
وَالْمَكَايِدِ الَّتِي قَدْ يَدْبِرُهَا أَنْصَارُ الْأَمِيرَةِ نَفَرَتَارِي
بَعْدَ إِذْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ اسْتَأْثَرْتَ بِالْعَرْشِ دُونَهَا . . .

أحمس : وَمَاذَا فَوْقَ ذَلِكَ .

فرباس : إِنْ هُنَاكَ يَا مَوْلَايَ نَفَرًا مِنَ الْحَكَّامِ وَرِجَالِ الْقَصْرِ
مَنْ اشْتَرَاهُمُ الْعَدُوُّ بِالْمَالِ وَفَسَحَ لَهُمْ فِي الْمَطَامِعِ
وَالْأَمَالِ يَنْفُسُونَ سَمُومَهُمْ فِي الْبِلَادِ . وَيَذِيعُونَ فِيهَا

أبناء الهزائم التي مُنيَ بها جيشنا الباسل . ويُثَبِّطون
عزيمة الشعب . ويَحْمِلون أخطاكم رحمة الآلهة عليه
تبعاً هذه الحرب وما جرّته على مصر من خرابٍ
ودمار . . .

أحمس : يا للخونة المارقين . ولكن لماذا سكت عنهم وتركهم
يعيشون في البلاد فساداً .

فرباس : كان الملكُ الراحلُ رحمته الآلهة قد أمرني أن أتغاضى
عنهم بعضَ حينٍ مخافة أن تندلع نيرانُ الثورة وهو
بعيدٌ عن طيبة . فإذا أمر مولاي قبضنا على زعمائهم
وحاكمناهم وأنزلنا بهم صارم العقاب ليكونوا عبرة
العبر لمن تحدّثه نفسه بخيانة الوطن .

أحمس : وهل لديك الدليلُ على خيانتهم .
فرباس : أجل يا مولاي فلن نأخذَ أحداً إلا بالثّابت من
جرمه .

أحمس : افعَلْ إِذْنِ مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْوَطَنِ . (يَهْمُ أَحْمَسُ بِالْخُرُوجِ)

فرباس : مَوْلَايَ عَفُوكَ فِي هَذَا بَعْضُ الدَّوَاءِ لِمَا تَعَانِيهِ الْبِلَادُ

مِنْ سَكْرَاتِ الْمِحْنِ . فَلَا تَزَالُ الْعُقْدَةُ الْكَبْرَى

تَنْتَظِرُ الْحُلَّ الْمَوْفَّقَ حَتَّى تَتِمَّكَنَ يَا مَوْلَايَ مِنْ

النُّهْوضِ بِمَهْمَّتِكَ الشَّاقَّةِ وَجِهَادِكَ الْمَقْدَسِ وَأَنْتَ

أَمِنْ مِنْ غَدْرِ الْعُصَاةِ وَالْآفَكِينَ .

أحمس : وَبِمَاذَا تَشِيرُ يَا فَرَبَاسَ .

فرباس : صَوَابُ الرَّأْيِ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَتَزَوَّجَ شَقِيقَتَكَ

الْأَمِيرَةَ نَفَرْتُارِي قَبْلَ ذَهَابِكَ إِلَى سَاحَةِ الْقِتَالِ .

فَتَأْمَنَ جَانِبَ النُّوبَةِ وَتَتَفَرَّغَ لَطَرْدِ الرُّعَاةِ الْأَوْبَاشِ .

أحمس : إِنْ حُزِنِي عَلَى أَخِي يَحُولُ دُونَ كُلِّ فَرَحٍ .

فرباس : مُكْرَهُ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ . فَلِلْأَمِيرَةِ أَعْوَانُ يَهْمُنَا

ضَمُّهُمْ إِلَيْنَا كَمَا يَهْمُنَا أَنْ نَخَيِّبَ أَمَلَ حَاكِمِ النُّوبَةِ

وَنَفْسِدَ عَلَيْهِ تَدْيِيرَهُ وَخَطَّتَهُ .

- أحمس : (متحيراً) لا رغبة لي في أن أتزوج أختي .
- فرباس : لا مفرّ لك من ذلك إن كنت تحبّ وطنك .
- أحمس : إني أُجلُّ أختي وأحبّها ولكن قلّما خفق لها فؤادي .
- فرباس : سوف يخفقُ عندما تفكرُ أن الوطنَ يدعوك لهذا الزّواج .
- أحمس : هيهات ...
- فرباس : مولاي ...
- أحمس : (بعد تفكير طويل) هذا مُحال . هذا مُحال .
- فرباس : أهنأك يا مولاي سرُّ تخفيّه عني . أأست موضعَ ثقتك .
- أحمس : أجلّ يا فرباس إنك لموضعُ ثقتي وإنّ لهنأك عهداً قطعتهُ على نفسي لفتاةٍ تملك حبّها جوانحي وسرّي في عروقي مسرّي الماء في عروقِ النّبات .
- فرباس : ومنّ هي يا مولاي .

- أحمس : هي إلهة في صورة فتاة .
- فرباس : ابنة أي ملك أو أمير هي .
- أحمس : لها من جبي عرشٌ تحيّم فوقه السَّعادةُ والهناءة .
- فرباس : لم تزدني علماً بها يا مولاي .
- أحمس : هي ابنة حابي رئيسِ العيون .
- فرباس : ابنة رئيسِ العيون .
- أحمس : هي نريتا ابنة حابي .
- فرباس : والَهفَ نفسي عليك يا مصر . لكَانَ الآلهة اتَّحدتْ
على مناوأتِكَ فهي تحاربُك بكلِّ سلاح .
- أحمس : ما هذا الذي تقولُه يا فرباس .
- فرباس : عفوك يا مولاي . فإنَّ هذا الغرام الذي تملك قلبك
سوف يُودي بك وبالبلادِ إلى التهلكة .
- أحمس : أتحسبُ أنَّ قلبي الذي ملكته فاتنتي ليس فيه محلٌّ
لحبِّ بلادي .

فرباس

: حاشا أن أفكر في ذلك يامولاي وحاشا أن أنتقص
 قدر ابنة حابي وجميل خلاها . غير أن خبرتي
 الطويلة تدلني على أنك إن تزوجت غير الأميرة
 نفرتاري جرّ عليك زواجك كل شؤم .

أحمس

: وكيف يا فرباس .

فرباس

: الجيش قد بلغ به الوهن والخور حدّا يُخشى معه أن
 يبید أو يؤسّر كله إن لم تتداركه . وخزانة الدولة
 خالية خاوية تملؤها أموال أختك . والبلاد منهوكة
 القوى محطمة العزيمة . وحاكم النوبة يهمل بشق عصا
 الطاعة . والرعاة يزحفون متقدمين إلى ممفيس .
 والأمراء يتحزّبون للأميرة نفرتاري عليك تحدوهم
 المطامع والأهواء . والخوّة يحرّكهم نضار العدو
 فيكيلون للبلاد الضرر والأذى . والشعب كالطفل
 إن لم تسرع في تحقيق أمله أدركه الملل وجرى خبيّا

إلى التمرّد والعِصيان ... كلُّ هذا يتطلبُ منك
يا مولاي أن تكون الملكَ الشجاعَ الحازمَ الذي
لا يُشركُ في حبِّ الوطنِ أيَّ حبٍّ آخر .

أحس : (يفكر قليلا ثم يفيض بما يحيش في صدره)

أيتها الآلهة لقد سحقتِ فؤادي هذا الفؤاد الذي
ما تفتّحتْ أكامُهُ تستقبلُ شمسَ الحبِّ والغرامِ
حتى ذوى قبلَ الأصيل ... تعذبُ يا قلبَ واخفقِ
ما استطعتَ أن تحفقِ إن التي أحبتّها قد ضربتْ
بينك وبينها السُّجوفُ فلن تراها ولن تراك ...
وداعاً أيتها الآمال والأحلام يا آمال السَّعادة ويا أحلامَ
الغرام لقد شيدَ بنيانُك على الرَّمْلِ فتداعى عند أوّل
عاصفةٍ من عواصفِ الحياة ... أيَّ أمون . أيّها
الإله العادل . لقد صعقتَ قلبي وكتبتَ لي العذاب
فويحُ لي من شقيّ مسكين .

فرباس

: إِنَّ أُخْتِكَ يَا مَوْلَايَ لَنْ تَأْلُوَ جَهْدًا فِي أَنْ تَوْفِّرَ لَكَ
السَّعْدَ وَهِنَاءَ الْبَالِ .

أحمس

: أَنَا لَا أَبْغِضُ أُخْتِي بَلْ أَحِبُّهَا وَلَكِنِّي كُلَّمَا فَكَّرْتُ
فِي أَنَّهَا سَوْفَ تَصْبِحُ زَوْجَتِي اتَّقَبَضَ قَلْبِي وَضَاقَ
صَدْرِي وَشَعَرْتُ بِقُوَّةٍ خَفِيَّةٍ تَدْفَعُنِي عَنْهَا . . . إِنِّي
عِنْدَمَا أَقْبَلُهَا لَا تَهْتَزُّ جَوَانِحِي وَلَا تَنْتَفِضُ وَلَكِنْ
عِنْدَمَا أَلْمَسُ يَدَ مَحْبُوبَتِي يَرْتَعِشُ جِسْمِي كَأَنَّ الْإِلَهَ
رَعَ أَشْعَلَ فِيهِ نَارًا مَلْتَهَبَةً . (يَسْكُتُ قَلِيلًا)

غَدًا يُهْنَوْنِي بِالْمُلْكِ . . . غَدًا يُرْتَلُّ الْكَهْنَةُ أَلْحَانَهُمْ
وَيُسَمِّعُنِي الشَّعْبُ هُتَافَهُ فِي تَهْنِئَتِي بِصُوجَانِ آلٍ إِلَيَّ
وَمُلْكٍ لِبَسْتُ تَاجَهُ فَأُضْطَرُّ أَنْ ابْتَسِمَ وَقَلْبِي يَبْكِي
وَأَنْ أَتَكَلَّفَ الْفَرَحَ وَأَنَا حَزِينٌ . . .

فرباس

: مَا لِي أَرَاكَ يَا مَوْلَايَ تُعْلِي حَبِيبَتَكَ فَوْقَ الْوَطَنِ .
أَتَحْسَبُ جَمَالَهَا أَبْهَى مِنْ جَمَالِهِ . أَوْ تَخَالُ قُبْلَتَهَا

أعذبَ من ماء النيل فلئن كانت من الجمال بحيثُ
تراها ليكونَ نهاية الشرف لها أن يُضَحَّى بها في
سبيلِ الوطن .

أحمس : (مهجوماً) إن أحببتُ داعي الحبِّ متُ غمًّا على الوطن .
وإن كَبَيْتُ نداء الوطن متُ يأساً على الهوى . فَإِنِّي
مأثتُ على الحالين فأَيَّ مِيتَةٍ أختار .
مِيتَةَ رجلٍ يحبُّ بلاده .

أحمس : (منتفضاً) دونك أَيَّتْهَا الآلهةُ قلبي فانتزعِ عيه من بين
جَنَبَيَّ وقدميه قرباناً للوطن إن كان في مثل هذه
التضحية خلاصُهُ من نير الاستعباد . كن يا فرباس
الرسولَ إلى شقيقتي وأبلغها أَنِّي اخترتها زوجةً لي
ولتساعدني الآلهة على تحملِ هذا الزَّواجِ الذي
أُكرهتُ عليه لأجل الوطن .

فرباس : كُلِّمَّا عظمت التضحية كان الثَّوابُ عليها أعظم . فلئن

ضَحَّيْتَ بَغْرَامِكَ وَهُوَ أَنْفَسُ مَا يُضَحِّي بِهِ الشَّبَابُ
لَقَدْ كَتَبْتَ فِي سِفْرِ الْوَطَنِيَّةِ صَفْحَةً مِنْ نُورِ فَالْأَلْهَةِ
تَبَارَكَكَ .

الحاجب : (يدخل فيخاطب أحس)

مولاي سيِّدتي نريتاني في القصر .

أحس : أنا ذاهبٌ إليها .

فرباس : ألا ترى يا مولاي أن تدعوها إلى هنا .

أحس : (للحاجب) قل لها إني في انتظارها .

(يخرج الحاجب فيقول أحس للوزير)

أُتْرُكْنِي معها يا فرباس لأُنْبِئُهَا بِالْفَاجِعَةِ .

فرباس : إذا شاء مولاي بقيتُ معه مخافةً أَنْ يَضْعِفَ إِزَاءَ

سِحْرِ عَيْنِهَا .

أحس : لَا تَخَفْ وَثِقْ بِشَجَاعَتِي .

فرباس : سَأَبْشُرُ شَقِيقَتَكَ الْأَمِيرَةَ نَفَرَتَارِي بِالنَّبَأِ السَّعِيدِ ثُمَّ

أُصْدِرُ أَمْرَكَ بِالْقَبْضِ عَلَى حَاكِمِ النُّوبَةِ وَالزُّعْمَاءِ
الْمَارِقِينَ وَالْخَوَنَةَ وَبَزَجِهِمْ فِي غِيَاهِبِ السَّجُونِ رَهْنِ
الْمَحَاكِمَةِ .

أحمس : افعل .

ثم أَعِدُّ أَنَا وَرَفَقَائِي الْعُدَّةَ لِحِفْلِ التَّتْوِيجِ الَّذِي سَيَقَامُ
غَدًا فِي مَعْبَدِ آمُونِ فَهَلْ لِمَوْلَايَ مِنْ رَغْبَةٍ يَشِيرُ بِهَا .

أحمس : لا .

إِذْنِ أَسْتَوْدَعُكَ الْآلِهَةَ يَا مَوْلَايَ . (يُخْرِجُ فَرَبَاسَ)

المشهد الثامن

أحمس . نَزَيْتَا .

نَزَيْتَا : (تَدْخُلُ مَبْتَهَجَةً) حَبِيبِي أَهْمَسْ كَيْفَ أَنْتَ .

أحمس : بِخَيْرٍ يَا نَزَيْتَا .

نَزَيْتَا : لِمَ تَدْعُونِي بِاسْمِي وَقَدْ تَعَوَّدْتَ أَنْ تَنَادِيَنِي حَبِيبَتَكَ .

(٤)

ولكن مالي أراك متجههم الوجه عبوساً . ماذا حدث .

أحمس : لا شيء ...

نزيتا : أنت لا تصدقني الخبر يا أحمس . لجبينك مقطب

وعينك زائغتان ...

أحمس : إنها الحرب يا نزيتا ... وصلت إلينا أنباء سيئة

من جبهة القتال .

نزيتا : لم يخطئ ظني أن وراء السحاب برقاً ورعداً . لقد

قضيت وقتاً طويلاً وأنا أرقب محيطك .

(ثم متحجبة إليه باسمه) وكنت في هذه الأثناء مطمح

أنظار طاهو رئيس الحرس . فلم يفتأ يلاحقني

في ردهات القصر وأنا أراوغه نافرة متهربة حتى

قدمت أنت فتنفست الصعداء . ولكن سرعان

ما رأيت الوزير قد خرج وصحبك إلى المجلس .

فلبثت أنتظرُك بفارغ الصبر إلى أن أرفض المجتمع

وانصرف الواحدُ تَلَوَ الآخرَ فارتَقَبْتُ خروجك
ولكن طالت خلوتك مع الوزير فرباسَ فَعِيلَ
صَبْرِي وأرسلتُ أُعْلِمُكَ بوجودي في القصر لأتَقَدَّكَ
من هذا الوزيرِ الذي أُضْمِرُ له الكُرْهَ من غير
ما سبب .

أنتِ على ضلالٍ يا نزيّتا . ما عَرَفَ النَّاسُ وزيراً
أشدَّ إخلاصاً للبلادِ من هذا الرَّجُلِ .

قد يكونُ ذلكَ غيرَ أَنَّ قلبي يحمّلي على بُغْضِهِ .
ونفسي تُحَدِّثُني بِشَرِّ كبيرٍ من خَلَوَتِهِ معك . . .
مالنا وله حَسْبِي أَنَّكَ إلى جانبي .

أحمس : (يسكت)

نزيّتا : ما لك لا تُجِيبُ .

أحمس : (يسكت)

نزيّتا : قلتُ لك إِنِّي أكرهُ هذا الرَّجُلَ .

أحمس : (يسكت)

نزيتا : إن وراء هذا السُّكوتِ بليَّةٌ تنتظرني .

أحمس : نزيتا . آه نزيتا . ماذا أقول . لقد وقعت الكارثةُ

ومات أخي .

نزيتا : مات الملك ... رحمتهُ الآلهة وأسكنهُ أوزيريس

فسيحَ جنَّاته .

أحمس : وسأخلفه على العرش .

نزيتا : نعمَ السَّلفُ والخلف .

أحمس : (مضطرباً) نزيتا . هي آخرُ مرَّةٍ نخلو فيها معاً .

نزيتا : (تأخذها سورة الغضب) آخرُ مرَّةٍ أراكَ فيها .

هذا ما كنتُ أتوقَّعهُ من خلوتك مع فرباس .

فلتأمنِ الآلهة من زين لك هجري وليخترق قلبه

سهمٌ ينزعُ منه الحياة . كيف أثَّرَ فيك كلامه . ماذا

قال لك . كيف أقنعَكَ . كيف تجاسرَ أن يُغريكَ

بهجراني . كيف استمعت له ولم تنقضَّ عليه فتخنقه .
(تهدا قليلا) آه ما أشقاني .

أحس : نزيئا . الوطنُ يدعونا إلى أن نضحِّيَ بحبِّنا .
نزيئا : وهل دعوتك يوماً إلى خيانة الوطن . هل حسبتَ
الوطنَ عشيقَةً أغارُ منها . لو أنه كان كذلك
لتضرَّعتُ إليها وانطرحتُ على قدميها باكيةً متوسِّلةً
ورجوتها أن تتخلَّى عنك لي فلا أترُكها حتى يلينَ
فؤادُها . لا كان الوطنُ إن سلَّبتني حبيبي وصنَّوْ
روحي . (تسكت قليلا ثم تخاطبه بلهجة رقيقة) :

أنسيتَ يا أحس الأيامَ الجميلةَ التي قضيناها معاً
نتساقى فيها كؤوسَ الهوى المُترعة وكلانا نشوانُ
بجمر الحبِّ والهيام .

أحس : (يسكت)

نزيئا : أنسيتَ حبَّنا الطاهر . أنسيتَ العهدَ الذي قطعته

على نفسك بأن تكون لي وحدي . لئن نسيتَه إنَّ
خميلةَ الوردِ التي لفظتَ قَسَمَكَ تحتها شاهدةٌ عليك .

أحس : (يسكت)

نزيتا : أنسيتَ أنِّي أقدسُ حبَّك . وأنِّي لا يهنا لي العيشُ
إلاَّ بقربك . هل تريدُ أن أموتَ كمدًا وغمًّا . ألا
تشفق على صباي . ألا ترحمُ شبابي من أن يُورَى
في التُّراب .

أحس : (يسكت)

نزيتا : مالك لا تُجيب . أ كنتَ إذن عابثًا بوعودك . عابثًا
بأيمانك المغلظة . عابثًا بقلبي الذي أوقعته في شرك
إثمك وغدرك .

أحس : اتَّدي في غلوائك يا نزيتا . وحقَّ حبِّك ما أنا
بالغادر الخوؤون ولا أنا بالطَّامع في مُلكٍ ولا سُلطان .
فما كنتُ لأَكسرَ فؤادك وأدمعَ عينيك لولا

ما يقضي به هذا الوطنُ الذي يرجو أن ينالَ الحرِّيَّةَ
على يدي ... أنا مَنْ أنا ... المحبّ الذي عرفته
ولكن قُضِيَ علينا أن نَشُقَّ فصْبْرًا على حكمِ
الآلهة . فهي التي أرادت أن نطويَ من فؤادينا
حُبًّا امتزَجَ بدمِنا وأنفاسنا .

: متى كانت الآلهةُ تفرِّقُ بين المحبِّين .

نزيتا

: غداً أنا ذاهبٌ إلى ميدان القتال أدافعُ عن وطنٍ
اغتنصبه هؤلاء الرُّعاة وأتسلمُ قيادةَ جيشٍ خذلَ
لموت أخِي ودبَّ فيه اليأس . فهل تريدن أن أعيرَ
الوطنَ أذنًا صمًّا والأخطارُ محدقةٌ به من كل
حَدَبٍ وصَوْبٍ . إن أبي قد مات ورمحه مُشرعةٌ في
يده . وهذا أخِي قد قُتِلَ وسيفُهُ حيٌّ إلى جانبه
مخضَّبٌ بدم الأعداء . فهل يُرضيك أن ينقشَ
التاريخُ على قبري كان أحس الأول جبانًا فرَّ من

أحس

حَلَبَاتِ الْكَفَاحِ وَالنِّزَالِ إِلَى رَحَبَاتِ الْهَوَى
وَالصَّبَابَةِ .

نزيثا : أَتَبْعُكَ إِلَى سَاحَةِ الْهَيْجَاءِ وَأَكُونُ أَلْزَمَ لَكَ مِنْ
ظِلِّكَ . . . أَدَاوِيكَ إِنْ جُرِحْتَ . وَأَرُدُّ عَنْكَ
بِفُؤَادِي سَهْمَ الرَّدَى . وَأُسَاعِدُكَ عَلَى النَّصْرِ وَلَوْ
كَانَ فِي أُنْيَابِ السَّبَاعِ وَمَخَالِبِ النَّسُورِ . . .

أحمس : كَيْفَ تَتَّبِعِينِي وَغَدًا بَعْدَ حَفْلِ التَّتْوِيجِ وَقَبْلَ
أَنْ أَعْلَوْ مَرْكَبِي فِي طَرِيقِي إِلَى مَمْفِيسٍ يَحْتَفِلُ
رَئِيسُ الْكَهْنَةِ بِزَفَافِ شَقِيقَتِي الْأَمِيرَةِ نَفَرْتَارِي إِلَى .
نزيثا : وَضَحَ الْأَمْرَ إِذْنًا وَأَفْصَحَتْ فِيهِ عَنْ طَوِيَّةٍ نَفْسِكَ
الْآثِمَةِ الْغَادِرَةِ .

أحمس : نَزَيْثَا وَحَقٌّ . . .

نزيثا : (مقاطعة) أَغْرَامُ جَدِيدُ دَفْعِكَ إِلَى شَقِيقَتِكَ أَمْ ذَاكَ
رَأَيْ فَرِبَاسَ اللَّعِينِ . . .

: لا تعذليه يا نزيثا إِنَّه يَعْمَلُ لمصلحة البلاد .

أحس

: أمن مصلحة البلاد أن تغدّر بي وتزوّج أختك .

نزيثا

: سأتزوّج أختي خَشِيَّةَ أن يُطْمَعَهَا ابن قوش في

أحس

عرش النوبة وإلا كنتُ بين نارين نار الفتنة

ونار الحرب . فهل يُرضيك إن أنا ذهبتُ لتأديب

العصاة أن يهجم الرعاة علينا فيعيشوا في البلاد

فسادًا ويسبّوا نساءنا ويذبحوا أطفالنا ويهدموا

معابدنا ويسومونا الخسف والاضطهاد . . . لأجل

ذلك فضّلتُ أختي عليك ليبقى أمامي عدوّ واحدٌ

أحاربه . فحسبك نخرًا أنه يُضَحّي بك للوطن .

: (حزينة) ياليتني ما عرفتُك قطُّ يا أحس . ياليت

نزيثا

قلبي ما خفق ساعة رآك . أيُّ ذنبٍ جنيته حتى

أعيش طول عمري معذبةً . أيُّ شرع هذا الذي

يسمح للرجل أن يتزوّج أخته ويترك حبيبته .

نعم إنها أحقُّ مِنِّي . إنها من سُلالةِ الملوك .
 إنها أختُكَ من لحمِكَ ودمِكَ وَلكنني
 أفضّلُها لأنني أحبُّكَ . (تبكي) سلامٌ عليكِ
 يا أحلام السَّعادةِ والهناءِ فما كنتِ في قفرِ حياتي
 لا سراباً . (تبكي)

أحس : لا تبكي يا نزيّتا . كفكفي دموعك وارحمي هذا
 القلبَ المعذبَ الذي تكويه عبراتك . نزيّتا .
 أخشى أن يؤثّر فيّ بكاؤك فأحجمَ عما أقدمتُ
 عليه وبئسَ المصير .

نزيّتا : لو كنت تحبّني لما فضّلتَ عليّ أحداً . (تبكي)
 أحس : فضّلتُ عليكِ وطني .

نزيّتا : (غاضبة) قدّكَ مُغالاةً فقد كرّهتَ إليّ الوطن .
 لا كان الوطن . ولا كنتِ أنت . ولا كانت
 خُمتُكَ (تخرج غصبي)

- أحمس : نزيثا . نزيثا . نزيثا .
 الشعب : عاش أحمس الأول .
 أحمس : إلى أيّ صوتٍ أُصْغِي وإلى أيّ عهدٍ أَمِيل .
 الشعب : عاش قائدنا العظيم .
 أحمس : لا . لا . سأكون لك وحدك أيها الشعب العزيز
 فمحالٌ أن تموت أُمَّةٌ لتحيّا أُمَّةٌ ...

ستار

الفصل الثاني

تجري حوادث هذا الفصل على مقربة من أسوار أفاريس القاعدة الحربية للرعاة وعلى مرمى النظر منها مضارب خيام لجيش أحس وفي خيمة من خيام القواد جلس ابن أبانا ونختون يتحدثان فتطرق مسامعهما أغان وأناشيد ينشدها الجنود .

المشهد الأول

ابن أبانا . نختون .

نختون : ما أسعد هؤلاء الجنود . يُنشِدون ويَطْرَبُونَ كما لو

كانوا في حلقات الأعراس والأفراح .

ابن أبانا : لعلّه فالٌ حَسَنٌ يا نختون . وما أحرّك وأنت قائدٌ

كتيبة « رع » أن يسرك هذا الرّوحُ العالِيُ يُخَفِّقُ

في حنايا الجنود ...

نختون : حققت الآلهة قولك . ولكن لو كان لنا أن نستدلّ

على الفأل الحسن من قسَمَاتِ الوجوه لما استدللنا من
 قسَمَاتِ مليكنا أحسن إلا على اليأس والقنوط . فقد
 غاض إشراق وجهه وبدت فيه سِمَاتُ الحزن
 والكَآبة . فأضحى قاسي القلب جباراً عنيداً .
 وفارقه ذلك الروح الذي كان يفيض رقةً وعذوبة .
 : لا تضرب يا نختون في بَوَادِي الأوهام ولا
 تَحْمِلَنَّ الظُّنُونُ إِلَى البعيد القِصِيِّ من الخُدنِ
 والتَّخمين . . .

ابن أبانا

: (مقاطعا) ما أنا مَنْ يَتَعَلَّقُ بِأَهْدَابِ الأوهام والظُّنون
 يا ابنَ أبانا . ولا أنا مَنْ يَرَكِبُ المُحَالَ والتَّأْوِيل .
 فَإِنَّمَا أَنَا امْرُؤٌ يَسْتَقِرُّ الحَاضِرُ وَيَبْنِي عَلَيْهِ حُكْمَهُ
 الصَّحِيح . فَإِنْ كَانَ لَنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَى حَاضِرِنَا
 مُسْتَدِلِّينَ فِي ذَلِكَ بِقَسَمَاتِ المليك القاسية الصَّارِمَةِ
 فلن يكونَ الحُكْمُ مِمَّا تَقَرُّ لَهُ العيون وتبتهجُ

نختون

الأفئدة .

ابن أبانا : وعلامَ نَمَكِّن اليأس من أن يُنْشِبَ مخالفه في
صدورنا .

نخثون : لعلك لا تعرفني حقَّ المعرفة يا صاحبي . فلقد هبطت
علينا منذ يومٍ أو بعضِ يومٍ فما أَسْعَفَكَ الزَّمنُ في
أن تَقِفَ على خُلُقِي وخِلَالِي . . . سَلِ الزُّمْلَاءَ
والرُّفَقَاءَ يخبروكَ أَنِّي الرَّجُلُ الذي يتفائلُ حتى في
أَحْلَكِ ساعاتِ اليأسِ والقُنوطِ . غير أنَّ تفاؤلي هذا
لا يَمْنَعُنِي من أن أكونَ صَائِبَ الرَّأْيِ ثاقِبِ
النَّظَرِ صادقِ البصيرةِ .

ابن أبانا : ولكنك تعتمدُ في حكمك على الفَرَضِ والخيالِ .
نخثون : كلاً يا صاح . لقد رأيتُ واستنتجتُ ولا إخالني
مخطئاً في رؤيتي واستنتاجي . أئذا رأيتَ وجهَ
السَّمَاءِ مُتَجَهِّمًا . والغمامَ السُّودَّ متراكمةً . والرياحَ

هَاجَةً عَاتِيَةً قَدَّرْتَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَاصِفَةَ آتِيَةٌ
لَا مُحَالَةَ ...

ابن أباناً : كَثِيرًا مَا تَخْدَعُنَا ظَوَاهِرُ الْأَشْيَاءِ يَا نَحْتُونَ . فَاكُم
رَأَيْنَا الْمَاءَ يَتَرَقَّرُقُ عَلَى وَجْهِ الصَّخْرَاءِ حَتَّى إِذَا وَصَلْنَا
إِلَيْهِ لَمْ نَجِدْ مَاءً وَلَا رَائِحَةَ مَاءٍ ... وَكَمْ رَأَيْنَا الْبَرْقَ
يَلْمَعُ فَوْقَ نَوَاطِرِنَا فَتَوَقَّعْنَا أَنْ يُدَوِّيَ الرَّعْدُ بَعْدَهُ
وَأَنْ تَفْتَحَ السَّمَاءُ أَبْوَابَهَا وَتَسْكَبَ عَلَى الْأَرْضِ
سُيُوهَا فَذَهَبَ مَا تَوَقَّعْنَا هَبَاءً مَنْشُورًا فِي إِثْرِ ذَلِكَ
الْبَرْقِ الْخُلْبِ .

نَحْتُونَ : إِنْ كُنْتَ يَا صَدِيقِي مُصِيبًا فِي قَوْلِكَ فَمَا أَنَا مُخْطِئٌ
فِي رَأْيِي ...

ابن أباناً : لَعَلَّكَ مُصِيبٌ فِي رَأْيِكَ مُخْطِئٌ فِي حُكْمِكَ ...
فَقَدْ يَكُونُ مَلِكُنَا عَبُوسَ الْوَجْهِ قَاسِيَ الْقَسَمَاتِ
وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ وَرَاءَ كُلِّ هَذَا أَلْفُ عَزِيمَةٍ

خَرَجَتْ تَقْنَصُ النَّصْرَ مِنْ أَشْدَاقِ السِّبَاعِ .

نختون : يا لك من مُحَدِّثٍ سَاحِرٍ . . .

(تسمع من الخارج أصوات جدال ومناقشة)

ابن أبانا : ما هذا .

نختون : هو لا شكَّ صاحبنا رُوْزَر .

المشهد الثاني

ابن أبانا . نختون . روزر .

روزر : (يدخل وهو ثمل ووراءه حاجبه وبائع الخمر فيقول لبائع الخمر)

قلتُ لك يا أبله إنَّ ذا كرتي لا تخونني . . . إنني
أعرفُ حقَّ المعرفة أنَّها الزُّجاجة السادسة والتسعون
بعد المئة . . . لست أذكر . فاطمئنَّ اطمئنَّ فخُك
محفوظٌ لدى أشرفٍ من حملته الأرضُ من شرَّابِ
الخمر . . . (ثم يلتفت إلى حاجبه قائلاً) قدَّه يا غلام إلى

خارج المعسكر وأوصله إلى حانوته سالماً مُعافى . . .

مع السلامة . . . (ثم يقهقه ضاحكاً)

ها أنت ذا قد عدتَ ظافراً منتصراً . نختون

أَوْ جَالَ بِخاطرِكم غيرُ هذا . . . تَبّاً له من لعين . . . روزر

وعلى من تصبُّ لَعَنَتَكَ . ابن أبانا

على هذا الأحقَّ صاحبِ الحانة . . . يقول إنه روزر

لا يمانعُ في إعطائي العَدَدَ الذي أريدُه من زجاجاتِ

الخمرِ ولكنه يُشْفِقُ على صَحَّتِي الغالية . (يضحك)

إنَّه لَعَلَى صَوَابٍ فلو متَّ . . . نختون

أأنا أموت . . . أنا . . . لا أظنَّ . . . فمنذُ روزر

سنواتٍ وأنا أخوضُ غِمَارَ المعاركِ وما زلتُ حياً

أَرْزَقُ . كَأَنَّ الآلهةَ تَحْرُسُنِي حتَّى أَفْرِغَ في جوفي

ما في حانةِ هذا الرَّجلِ من نبيذ . . .

إن الخمرَ يا صديقي تباعدُ بينك وبين النَّصرِ . ابن أبانا

روزر : أَقْسَمُ لَكَ إِنَّ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ

نَصْرٍ .

نخثون : أَتَقُولُ هَذَا لِأَنَّهُ مَرَّتْ عَلَيْنَا سِنَوَاتٌ وَنَحْنُ بَعِيدُونَ

مِنْ طَبِيبَةٍ .

ابن أباننا : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي قَادِمٌ مِنْهَا .

روزر : بِحَقِّ الْإِلَهِ لَا تُذَكِّرْنِي بِطَبِيبَةٍ فَالَّذِ كَرَى تَعْصِفُ

بِفَوَادِي .

ابن أباننا : وَمَا السَّبَبُ يَا رُوْزِرَ .

روزر : السَّبَبُ الْحُبُّ وَالْحُبُّ السَّبَبُ .

ابن أباننا : أَنْتُمْ أَيُّهَا الْعُزَّابُ مَا أَكْثَرَ مَا تُلْهِمُكُمْ حَوَادِثُ

الْعَشْقِ وَالْغَرَامِ .

روزر : كَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَنَحْنُ أَسْعَدُ حَالًا مِنْكُمْ أَيُّهَا

الْمُتَزَوِّجُونَ فَيُثِمَا نَعْسُ كِرْ نَجْدٍ حَبِيبَةٍ جَمِيلَةٍ تَنْسِينَا

هَمُومَ الْحَيَاةِ . فَلَيْتَ عَدِمْنَا حَبِيبَةً فِي بَلَدٍ . وَهَذَا

ما لا يحدثُ أبداً لمثلي إِنَّا لا نَعْدَمُ أُخْرَى فِي
بلدٍ آخِر .

ابن أبانا : يالك من ثرثار .

نختون : أَمَا أَنَا فَمَقِيمٌ عَلَى الْعَهْدِ لَا أَسْتَبْدِلُ بِحَبِيبَتِي أَحَدًا .

ابن أبانا : هكذا يكون الوفاء . إني لأذكر الآن زوجتي

وأولادي ويخيلُ إليَّ أَنِّي أَسْمَعُ نَغْمَاتِهِمْ .

نختون : إِذَا قُدِّرَ لَنَا النِّصْرُ رَجَعْنَا إِلَى بِلَادِنَا وَلِيقِي كُلُّ مَنْ
أَحْبَابُهُ .

ابن أبانا : سألتُ أَنَا زوجتي . وَأَنْتِ يَا نَخْتُونُ حَبِيبَتِكَ .

وَأَنْتِ يَا رُوْزَرُ أَتَلْقِي حَبِيبَتِكَ الْقَدِيمَةَ أَمْ حَبِيبَةً

جديدة . (ضحك)

روزر : اِسْمَعَا . اِسْمَعَا . عَرَفْتُ فِي طَبِيعَةٍ ... لَا تَوَافِقَانِي ..

(ينادي) يَا غَلَامَ (يدخل حاجبه) زجاجة أخرى من

النبيذ المَعْتَق (يخرج الحاجب وهو يقول) سَمْعًا وَطَاعَةً لِسَيِّدِي .

ابن أبانا : حَتَّامَ هَذَا السُّكَّرِ .

روزر : حَتَّى أَمُوتَ . وَإِنِّي لأَرْجُو أَنَّ يَكُونَ قَبْرِي فِي

حَانُوتِ خَمَّارٍ أَوْ تَحْتَ دَالِيَةٍ مِنَ الْعَنْبِ . . . (يَضْحَكُ)

نخثون : يَا لَكَ مِنْ سِكِّيرٍ عَرِيْدٍ .

روزر : كُنْتُ أَقُولُ إِنِّي عَرَفْتُ فِي طَيْبَةِ فَتَاةٍ لَوْ رَأَتْهَا

إِلَهَةُ الْجَمَالِ لَتَوَارَتْ خِجَلًا . . . كَانَتْ هَذِهِ الْفَتَاةُ

فِي الرَّبِيعِ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِهَا بَلْ فِي الرَّبِيعِ الْأَرْبَعِينَ

بَلْ فِي الْخَمْسِينَ . . مَا لِي أَرَاكُمَا لَا تُصْغِيَانِ إِلَى

حَدِيثِي .

نخثون : أَعَفَيْنَا مِنْهُ بِحَقِّ الْآلِهَةِ فَقَدْ سَمِعْتُ أَنَا مِنْكَ هَذِهِ

الْقِصَّةَ مِئَةَ مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ .

روزر : عَجَبًا . مَنِّي أَنَا .

نخثون : نَعَمْ مِنْكَ أَنْتَ وَهَذَا صَدِيقُنَا ابْنُ أَبَانَا سَمِعَهَا مِنْكَ

عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلَى وَلَمَّا يَمُضِ عَلَى مَحِيئِهِ إِلَيْنَا

أربع وعشرون ساعة . أَقْتَرِيْدُ أَنْ أَتِمَّهَا لَكَ .

روزر : نعم .

ثم لَمَّا رَأَتْكَ لِأَوَّلٍ وَهَلَّةَ خَرَّتْ صَرِيْعَةً هَوَاكُ
وَأَسِيرَةً جَمَالَكَ . فَمِمَّا عَلِمْتُ أَنَّكَ رَحَلْتَ عَنْ طَيِّبَةِ
قَتَلْتُ نَفْسَهَا وَذَهَبْتُ ضَحِيَّةً حَسَنِكَ وَغَرَامِكَ .

روزر : هذا مَا حَدَّثَ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ . أَرَأَيْتَا كَيْفَ كَانَتْ
مَغَامِرَاتِي أَحَادِيثَ الْقَوَادِ بَلْ أَحَادِيثَ الشَّعْبِ
بَأَسْرِهِ .

ابن أبانَا : لَا تَنْسَ أَنَّنَا لَمْ نَصِدِّقْ مِنْ قِصَّتِكَ كَلِمَةً وَاحِدَةً .

روزر : وَلِمَاذَا .

نَحْتَوْنُ : هَذَا رَأَيْنَا فِي جَمِيعِ مَا تَقُولُ .

روزر : وَلَكِنِّي أَسْتَحْلِفُكَ بِالْآلِهَةِ إِلَّا سَمِعْتَا مِنِّي قِصَّةً

جَدِيدَةً وَقَعْتُ لِي فِي بِلَادِ النُّوبَةِ وَلَيْسَ فِيهَا رَاحَةٌ
الْكَذِبِ . . . لَا مَوْاخِذَةَ . . . (يَنَادِي) يَا غَلَامُ .

يا غلام . (يدخل الحاجب ويقول) نعم سيدي .

روزر : أين النبذ أمها الخبيث .

الحاجب : رَفَضَ صاحبُ الحانةِ أَنْ يُعْطِيَني زجاجةً أخرى .

روزر : أَوْتَجَرَّأَ على ذلك .

الحاجب : قال إنه لن يُدَبِّيَ لك أيَّ مَطْلَبٍ جديدٍ إلا إذا

دفعت له يا سيدي ما عليك من دينٍ قديم . وقال إنه

كان معك يا سيدي كريماً سخياً مع أنَّ مبدأه في

البيع هو : الدَّيْنُ ممنوع والعَتَبُ مرفوع والرَّزْقُ على

الآلهةِ الكريمة . (يضحك ابن أبانا ونختون)

روزر : ويلٌ له . لو كان عملاؤه من الشُّرَفَاء أمثالي . . .

نختون : لكان أقفلَ حانوته منذ مدة طويلة .

روزر : أنا ذاهبٌ أريه كيف يكونُ الدَّفْعُ فوراً .

ابن أبانا : حسناً تفعل .

روزر : (إلى حاجبه) سِرْ أُمَامِي . (يخرجان)

المشهد الثالث

ابن أبانا . نختون .

نختون : لم تخبرني وأنتَ قادمٌ من طيبة عمّا أسفرت عنه
ثورةُ النوبة فقد أنهى إلينا مليكنا أحسنَ أمس أنه
أدبَ العصاةَ شرّاً تأديبٍ فكم وددتُ لو كنتُ في
عدادٍ من استصحبهم لقمع تلك الفِئنة .

ابن أبانا : قمعها في غير ما نصّب ولا مشقة .

نختون : وماذا جرى لحاكم النوبة . وصل إلينا أنه كان
مسجوناً .

ابن أبانا : مات في سجنه .

نختون : هل ثار النوبيون لحاكمهم .

ابن أبانا : أجلُ ثاروا فاضطّرّ مليكنا كما تعلم إلى تركِ هذه
القلاع والعودة لتأديبِ العصاة . . . واعلم أنه لولا

طاهو ما حرَّ كوا سا كنًا .

نختون : طاهو . رئيس حرس القصر .

ابن أبانا : هو بعينه . فقد ثبتَ أَنَّهُ صَنِيعَةٌ مِنْ صَنَائِعِ الْأَعْدَاءِ

فَقَبِلَ أَنْ يَلْقَى جَزَاءَ خِيَانَتِهِ تَمَكَّنَ مِنَ الْفِرَارِ إِلَى

بِلَادِ النُّوبَةِ فَأَثَارَ الْحَفَاطِظَ وَأَوْقَدَ نَارَ الْفِتْنَةِ . فَأَخَذَهَا

مَلِيكُنَا أَحْمَسَ وَأَنْقَذَ الْبِلَادَ مِنْ شَرِّهَا .

نختون : وهل لقي طاهو التَّذْلُ حَتْفَهُ .

ابن أبانا : كَلَّا . سَاعَدَتْهُ الْأَرْوَاحُ الشَّرِّيرَةُ فَهَرَبَ إِلَى أَعْدَائِنَا

الرُّعَاةَ وَانْضَمَّ إِلَى صَفْوِفِهِمْ . وَالْأَذْهَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ

فَرَّتْ مَعَهُ عَشِيقَتُهُ .

نختون : وَمَنْ تَكُونُ عَشِيقَتُهُ .

ابن أبانا : نَزِيَّتَا .

نختون : نَزِيَّتَا . ابْنَةُ حَاجِي رَئِيسِ الْعِيُونِ . ابْنَةُ ذَلِكَ الشَّيْخِ

الْجَلِيلِ كَانَتْ تَحِبُّ طَاهُو .

ابن أبانا : أجل . وكانا يتحaban منذ زمنٍ طويل .

نختون : وكيف صبر حابي على هذه الكارثة .

ابن أبانا : إنه مات غمًا .

نختون : وارحمته له . من كان يظن أن ستنتهي به الحال إلى

هذه المأساة الأليمة .

ابن أبانا : كان حابي أثيرَ المنزلة من نفسٍ مليكنا فلما سمعَ

الملكُ بفرارِ ابنته وطاهو معاً انتفض انتفاضاً

واستولت عليه سورةٌ من الغضب كاد يسحق معها

كل من يقترب منه .

(يدخل روزر وكان نسيم الأصيل قد أطار من رأسه

السكر فيسمع طرفاً من الحديث دون أن يشعر به زميلاه)

المشهد الرابع

ابن أبانا . نختون . روزر .

نختون : (يلتفت فيرى روزر) ها أنت ذا قد عدتَ صفرَ اليدين .

روزر : آثرتُ أن أناقشَ صاحبَ الحانةِ الحسابَ في صباح

غد . . .

نختون : نعمَ ما فعلت . . . تعالَ استمعْ لصديقنا ابنَ أبانا

واعلمَ منه كيفَ قمعَ الملكُ الثورةَ في النبوة .

روزر : وماذا يفيدُني ذلكَ . حسبي أن أعرفَ أننا بعدَ سفر

الملكِ بقينا محاصرينَ هذه القلاعَ فلا العدوُّ نزلَ منها

ولا نحنُ استطعنا أن نقتحمَها . ولا تجهلُ أننا دُحرنا

ثلاثَ مرّاتٍ عن هذه المعازلِ فلو استأنفنا الهجومَ

للمرةِ الرابعةِ وغلبنا على أمرنا لم تقمِ لنا قائمةٌ من

بعد .

نخثون : أَلَا تَعُدُّ وَصُولَنَا إِلَى أَسْوَارِ أَفَارِيسَ نَصْرًا لَنَا مَبِينًا .

ابن أبانا : أَتَيْتُ مِنْ النَّصْرِ وَأَنْتَ قَائِدُ كَتِيبَةِ « فَتَاح » .

روزر : تَذَكَّرْنِي حِمَاسُكَ بِمَنْ سَلَفَ مِنْ قَوَادِ كَتِيبَةِ أُمُونِ

فَكَلَّهْمُ كَانُوا مِنَ الْحِمَاسَةِ عَلَى أَعْظَمِ جَانِبٍ . فَصَدِيقِي

تَاخُوسُ ذَهَبَ يُخْبِرُ بِمَوْتِ الْمَلِكِ خَامُوسَ فَمَاتَ مِنْ

التَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ . وَصَدِيقِي سَيْتِي الَّذِي خَلَفَهُ فِي مَنْصِبِهِ

قُتِلَ فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ خَاضَ غُبَارَهَا .

ابن أبانا : رَحِمَهُمَا الْإِلَهَةُ .

روزر : أَمَّا أَنْتَ فَسَعِيدُ الطَّلَعِ .

ابن أبانا : كَأَنِّي بِكَ تَسْتَكْثِرُ عَلَيَّ هَذَا الْمَنْصِبَ وَتَجْهَلُ أَنَّ

الرَّئِيسَةَ نَفَرُ أَسْرَتِنَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ .

نخثون : كُنْتُ عَرَفْتُ أَبَاكَ رَيْسَ نَوَاتِي السَّفِينَةِ أَيْيسَ .

ابن أبانا : أَفْتُدْهَشُ إِنْ أَنَا أَصْبَحْتُ رَيْسَ كَتِيبَةِ « أُمُونِ »

بَعْدَ أَنْ كُنْتُ رَيْسَ مَلَّاحِينَ مِثْلِهِ .

روزر

: لَا تُنْكِرُ عَلَيْكَ الدَّرَايَةَ وَالْكِفَايَةَ وَلَكِنْ لَا تُنْكِرُ
أَنَّ لِلْجَدِّ عَامِلًا كَبِيرًا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ . أَلَسْنَا
شُجْعَانًا مِثْلَكَ فَلِمَ لَمْ نَظْفِرْ مِنَ الْمَلِكِ بِمَا ظَفَرْتَ بِهِ
مِنَ الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ .

ابن أبانا

: حَارَبْتُ مَعَهُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فَقَدَّرَ شَجَاعَتِي قَدْرَهَا
وَزَيْنَ صَدْرِي بِالذَّهَبِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ .

نختون

: وَكَيْفَ تَوْصَلْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ .

ابن أبانا

: قُلِّدْتُ بَعْدَ أَبِي رِثَاةَ نَوَاتِي السَّفِينَةِ أَيْسَ . فَلَمَّا
انْتَهَى إِلَى مَسَامِعِ الْمَلِكِ خَبَرُ شَجَاعَتِي جَعَلَنِي فِي
حَاشِيَتِهِ فَصَحْبَتُهُ فِي حُرُوبِهِ وَأَسْرَتْ أَنَا وَحَدِي
أَسْرَى كَثِيرِينَ وَأَخَذَتْ أَيْدِي مَنْ قَتَلَتْهُمْ . وَلَقَدْ
اتَّفَقَ لِي مَرَّةً أَمْرٌ عَجِيبٌ .

نختون

: وَمَا هُوَ .

ابن أبانا : في معركة «تاكمت» هَجَمَ وغدَّ من الرُّعَاةِ على الملكِ
 وضربهُ بِخِنْجَرِهِ فَأَخْطَاهُ فَهَجَمْتُ عَلَيْهِ فرمى بنفسه
 في النهرِ فارتُمتُ وراءَهُ وأدركتهُ وقبضتُ على
 عُنُقِهِ وخرجتُ به حياً وقطعتُ يديه فقلدني الملكُ
 بعد ذلك شارةً ذهبيةً وأقطعني الأَرْضَيْنِ الواسعةِ
 ومنحني عدداً من العبيد.

نختون : إذا انتهت الحربُ عُدْتُ إلى أَهْلِكَ وَعِشْتَ في
 خَفْضٍ وَسَعَةٍ.

ابن أبانا : لَا إِخَالَنَا نَعُودُ سَرِيعاً فليكننا أَحْمَسُ لَا بَدَّ أَنْ يَتَعَقَّبَ
 هَؤُلَاءِ الرُّعَاةَ حَتَّى أَقَاصِي صَحَارِيهِمْ وَيَبِيدَهُمْ عَنْ
 آخِرِهِمْ.

روزر : أَمَّا أَنَا فَأَرَى مَحَاوِلَةَ افْتِتَاحِ هَذِهِ الْقَلَاعِ ضَرْباً مِنْ
 الْعَبَثِ.

ابن أبانا : قَوِّ عَزِيمَتَكَ . هَلْ بَلَغَ بِكَ الْيَأْسُ هَذَا الْمُبْلَغَ .

روزر

: دَعَكَ مِنْ عَزِيمَتِي وَيَأْسِي وَقَلَّ لِي أَتْنِي لَنَا

افْتِتَاحُ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْصَنَةِ بِأَبْوَابٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا
الْحِجَارَةُ وَالسَّهَامُ . وَهَذَا الْمَاءُ الَّذِي يَحِيطُ بِهَا كَيْفَ
السَّبِيلُ إِلَى اجْتِيَاذِهِ إِلَّا إِذَا غَرَقْنَا فِيهِ .

نختون

: قِيلَ إِنْ دَاخَلَ هَذِهِ الْقَلْعَةَ خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ

جَنْدِيٍّ شَاكِي السَّلَاحِ .

ابن أبانا

: هِيَ حَامِيَةُ الْمَدِينَةِ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافَ بَعْدَ أَنْ

جَاؤُوا إِلَى بِلَادِنَا مَتَشَرِّدِينَ وَتَمَكَّنُوا مِنْهَا حَصَنُوا

أَقَارِيسَ لَسَبِيبِينَ : لَرَدِّ غَارَتِنَا إِذَا أَغْرَنَا وَصَدَّ

شُعُوبَ الشَّرْقِ لَوْهَا جَمْعَهُمْ .

نختون

: إِنْ نَفْسِي مَتَعَطَّشَةٌ إِلَى ذُبْحِ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةِ ذُبْحِ

النَّعَمِ وَالشُّرْبِ مِنْ دِمَائِهِمْ بِأَقْحَافٍ رَوْوَسَهُمْ .

روزر

: أَفْضَلُ أَنَا شَرِبَ جَرَّةٍ مِنَ الْخَمْرِ (ضَحَكَ)

ابن أبانا

: وَيَمْلِكُ يَا رُوْزَرَ أَتُحِبُّ الْخَمْرَ هَذَا الْخُبُّ الْعَظِيمُ حَتَّى

لَتَوْثُرُهَا عَلَى دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ .

نِخْتُون : دَعَكَ مِنْهُ إِنَّهُ يَهْذِي . . .

روزر : (غاضباً) أَأَنَا أَهْذِي . أَمَّنْ يَنْظُرُ إِلَى الْوَاقِعِ مَجْرَدًا

مِنْ زُخَارِفِ الْأَمَالِ وَالْأَحْلَامِ تَتَهَمُونَهُ بِالْهَذْيَانِ . قَالَ
صَدِيقُنَا نِخْتُونُ إِنَّ نَفْسَهُ مَتَعَطِّشَةٌ إِلَى ذَبْحِ الْأَعْدَاءِ
وَالشُّرْبِ مِنْ دِمَائِهِمْ . وَقُلْتُ أَنَا إِنِّي أَوْثُرُ شُرْبَ
جَرَّةٍ مِنَ الْخَمْرِ . فَأَيُّهُمَا يَهْذِي . نَاشِدَتِكَ الْآلِهَةُ
يَا ابْنَ أَبَانَا قُلْ لِي أَأَنَا أَهْذِي أَمْ هُوَ .

ابن أبانا : قَصَدَ صَدِيقُنَا نِخْتُونُ إِلَى أَنْ . . .

روزر : (مقاطعاً) لَمْ يَقْصِدْ إِلَى شَيْءٍ . . . إِنَّهُ عَدُوُّ الْخَمْرِ

الَّذُودُ . . . وَلَكِنْ دَعْنَا مِنْ هَذَا . . . أَلَا تَرَى
أَنَّ مَطْلَبِي أَيْسَرُ تَحْقِيقًا مِنْ مَطْلَبِهِ . . . دِمَ الْأَعْدَاءِ . . .
وَمَنْ لَكَ بَدَمِ الْأَعْدَاءِ . . . جَرَّةٌ مِنَ الْخَمْرِ . . .
وَمَا أَسْهَلَ الْحَصُولَ عَلَى جَرَّةٍ مِنَ الْخَمْرِ . . . (يَنَادِي)

يا غلام . . .

نختون وابن أبانا : (معاً) صدقناك . صدقناك . لا حاجة إلى الدليل .

(ثم يقولان للغلام الذي حضر) انصرف . انصرف .

روزر : (للغلام) انصرف أيها الأبله . ألا تسمع السيدين

العظيمين يأمرانك بالانصراف (يتوارى الغلام ويستسلم

القواد الثلاثة إلى ضحكك طويل ثم يدخل الملك والوزير يحيط بهما

بعض الحراس)

المشهد الخامس

ابن أبانا . نختون . روزر . أحس . فرباس .

(يهب القواد وقوفاً وينادون بصوت واحد)

مولانا الملك .

أحس : حيثكمُ الآلهة . ما وراءكم . هل فتحت هذه الخلوة

عليكم بشيء .

ابن أبانا : الجيشُ يا مولاي يزجرُ كالأسود تنزّي في

الحديد فهو قد اشتاقَ إلى القتال وملّ هذا الرُّكود.

روزر : يسوءني أن أعلم مولاي أن بعضَ الكتائبِ

متدمرةٌ شاكيةٌ فقد أثّرَ فيها اندحارُنا ثلاثَ مرّاتٍ
تأثيرًا بليغًا .

أحمس : ما تعودتَ أن تقفَ أمامي يا روزو موقفَ المتدمرِ

الشّاكي . هل فُتّ في عضدِكَ . ألسْتَ من أبطالِ

ممفيس أم قد لعبتِ برأسِكَ هذه الملعونة .

روزر : مولاي قد أقلتُ عنها .

أحمس : أصدقني يا نختون . ألا يزال صديقك مُدْمِنَ خمرٍ

وشراب .

نختون : أجل يا مولاي .

أحمس : (يضحك)

فرباس : ولكنه مع ذلك جنديٌّ شجاع .

ابن أبانا : نعم يا مولاي . إنه وصديقي نختون لمثال الجندي

الشجاع فقد كنت أخبرها يا مولاي كيف أدبت

العصاة في النوبة شرّ تأديب فكاد ايطيران حميةً وحماسة .

نختون : ولقد أخبرنا أيضاً أنك تنوي يا مولاي أن تتعقب

هؤلاء الرعاة المناكيد حتى أبعد صحاريهم .

روزر : ثم أخبرنا كذلك يا مولاي بأشياء نالت من قلوبنا

كل منال .

فرباس : بماذا أخبر كما أيها البطلان . . .

نختون : بموت حابي رئيس العيون .

فرباس : رحمت الآلهة عليه .

روزر : وبفرار ابنته مع طاهو الخائن .

أحمس : (يمتقع وجهه) دَعُكُمْ من أنباء الموتي والخنونة .

فالجندي في ساحة الهيّجاء لا يشغل بالله إلا بأنباء

الطعن والضرب وسبحات الكر والفرّ شحذاً

لَهْمَتَهُ وَبَعْدًا بِفَوَّادِهِ عَنْ مَوَاطِنِ الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ .
أَلَا تَرَى رَأْيِي يَا ابْنَ أَبَانَا .

ابن أبانا : مولاي نَحْنُ وَالْجَيْشُ فِدَاؤُكَ . فَمُرْ بِكَلِمَةٍ تَرَنَا

تَسَابَقْنَا إِلَى وَرُودِ حِيَاضِ الْمَوْتِ فَرَحِينَ مَسْرُورِينَ .

روزر : مَا عَبَّرْتُ مِنْذُ قَلِيلٍ إِلَّا عَنْ حَالِ بَعْضِ الْجُنُودِ أَمَّا أَنَا

فَأَوَّلُ مَنْ يُضَحِّي بِرَأْسِهِ فِدَى الْوَطَنِ وَالْمَلِكِ .

نخنتون : مولاي . كُلُّنَا ذَلِكَ الْجَنْدِيُّ الَّذِي لَا يَرْهَبُ الْعِدَى

وَلَا يَبَالِي الْأَخْطَارَ .

أحمس : بَارَكْتَ الْآلِهَةَ فِيكُمْ أَيُّهَا الشُّجْعَانُ . عُودُوا إِلَى

كُتَابِكُمْ وَبَثُّوا رُوحَ الْحِمَاسَةِ فِي الْجُنُودِ وَاسْتَعِدُّوا

لِلْهَجُومِ . عَامُّوا الْجَنْدَ كَيْفَ تَكُونُ التَّضْحِيَةُ قَوْلُوا

لَهُمْ حَيْثَمَا يَكُنُ الْمَلِكُ يَكُنُ الشَّرَفُ الْأَكْبَرُ . سِيرُوا

عَلَى بَرَكَةِ الْآلِهَةِ . (يَخْرُجُونَ)

المشهد السادس

أحمس . فرباس . (الحراس يقفون بعيداً عنهما)

أحمس : استدعيتك من طيبة يا فرباس لأرى إلى جاني رجلاً
أثق به فأبشّه دخائلَ صدري فإني أكادُ أختنقُ وأنا
كأتمُّ وجدي .

فرباس : أشكرك يا مولاي على هذا الشرف العظيم الذي
تغمرنني به ولكنتني لا أرى ما يحولُ دونَ فرحك
وسرورك . وطّدت الأمن . وألّفت بين الأحزاب .
وأخذت ثورة النوبة . واستوليت على جميع بلاد
الشمال . ولم يبقَ إلا هذه المدينة ولن تقفَ قلاعُها
في وجهك طويلاً .

أحمس : كيف أكونُ ملكاً على بلادٍ فيها مثلُ هذه

القلاع . وأي عار يلحقُ بنا إذا نحن عجزنا عن
اقتحام أسوارها .

إن هذه القلاعَ لَطَخَةُ سوداءٍ في وجه مُلكي .
فلتَنَقِضْ عليها الصَّواعقُ والزَّوابعُ . . . هي التي
أبدت لي ضَعْفَ الإنسان على حين قَمَعَتُ الفتنَ
ودَوَّخْتُ البلدانَ . (يلتفت إلى أسوار أفاريس) كوني
أَيَّتْهَا القلاعُ مَنِيعةً ما شئتَ لكِ المَناعةَ فَوَحَقْ
أَمونَ لأدوسَتِكَ بِقَدَمي وأَقِمْ في ساحتِكَ مَجْزَرَ
لم يَسْمَعْ بها حتَّى اليوم .

: اطمِئْنِ بالآ يا مولاي فَإِنَّكَ لا محالةَ ظَافِرٌ مُنْتَصِرٌ .
فشعْبُ مصرَ بِأُسْرِهِ يدْعو لكِ بالفوزِ والظَفَرِ .
ومولاتي المَلِكَةُ لا تَقْتَأُ ليلَ نَهارٍ تُصَلِّي للآلهةِ
وتَطلبُ منها أن تنصُرَكَ على الأعداءِ وأن تَعِيدَكَ
إليها سالماً غانماً .

أحمس

: أختي تصلي من أجلي . يالها من زوجةٍ صالحة . أنا
الذي إن مشيتُ في مُعسكرٍ تمثَّل لي خيالُ زيتا .
وإن رقدتُ بدا لي طيفُها يستعطفني ويعاتبني . وإن
خلوتُ بنفسي جلستُ إلى يميني تلفحني نَفثاتها
المحرقة ويرُعشني لمسُ أصابعها الباردة . (يخيل إليه أنه
يراهها أمامه) إليك عني أيها الخيال . أنا خائنُ الوداد .
أنا ناكثُ العهود . إليك عني إنَّ منظرَكَ البهيَّ
تُشيعُ منه أنوارُ الطُّهرِ يَخطفُ بصري . إليك عني
وإلا تملكني الجنونُ فأغمدتُ هذا الخنجرَ في
صدرِي يأساً وغمًّا .

فرباس

: مولاي رفقا . اطرَحْ ذكرَ تلك الخائنةِ من فؤادِكَ .
إنَّها غيرُ جديرةٍ بأن تفكرَ فيها وهي التي خانتُ
بلادَها وفرتُ إلى الأعداء تساعدهم علينا . أَلَمْ
يأتِكَ أنَّها تنتقلُ من بلدٍ إلى آخر تُذكي في قلوبِ

الرُّعَاة نَارَ الْحَمَاسَةِ . . . تَشِيرُهُمْ عَلَيْنَا . . . تَطْلَعُهُمْ عَلَى
مَوَاطِنِ الضَّعْفِ مِنْ جَيْشِنَا . فَهَلْ يَجْدُرُ بِأَحْمَسِ
الْأَوَّلِ أَنْ يَفَكَّرَ فِي امْرَأَةٍ مِثْلِ هَذِهِ .

: أَلَسْتُ مِنْ أَرْذَاهَا فِي هَذِهِ الْهَالِوِيَّةِ يَا فَرَبَاسَ فَأَرَادَتْ
أَنْ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِهَا . أَلَمْ أُدْمِ قَلْبَهَا . أَلَمْ أُدْمِعْ عَيْنِهَا .
أَلَمْ أُوْطِئْ لَهَا بِجَفَائِي مِهَادَ الْقِتَادِ . أَنْتَ الَّذِي
حَدَوْتَنِي عَلَى هِجْرَانِهَا . أَنْتَ الَّذِي دَفَعْتَنِي إِلَى أَنْ
أَحْنَتَ يَمِينِي . أَنْكُتَ عَهْدِي . أَخْفِرَ ذِمَّتِي . ثُمَّ
تَلَوُمُهَا عَلَى أَنْ خَانَتِ الْوَطْنَ . أَقْسِمُ أَنْ لَوْلَا
إِخْلَاصُكَ وَوَفَاؤُكَ لَقُلْتُ مُتَحَامِلٌ أَنْتَ عَلَيْهَا .

أَحْمَسِ

: مَوْلَايَ . رُحْمَاكَ . أَتَظُنُّنِي أُسِفٌ وَأَتُنَحِدِرُ إِلَى مَزَالِقِ
الْأَخْلَاقِ فَأَنَا صِيبَ الْعِدَاءِ فَتَاةٌ هِيَ ابْنَةُ صَدِيقِ
وَزَمِيلِ لِي وَحَبِيبَةِ أَمِيرِنَا الْمَقْتَدَى وَمَلِيكِنَا الْهُمَامِ .

فَرَبَاسِ

: عَلَامَ إِذْنِ زَيْنَتَ لِي هِجْرَانِهَا بَلْ حَمَلْتَنِي عَلَيْهِ سَحْلًا

أَحْمَسِ

فَانْقَدْتُ أَنَا إِلَى رَأْيِكَ بَعْدَ إِذْ غَشَّتِ النَّكْبَةُ
 عَيْنِي وَتَأَجَّجْتُ فِي صَدْرِي نَارُ الْوَطَنِيَّةِ وَالْحِمَاسَةِ فَمَا
 رَأَيْتُ إِلَّا الْوَطْنَ الْحَرِيبَ يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَيَسْتَجِيرُ بِي .
 : مَا كَانَ لِأَحْمَسَ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ .
 أَفْتَرِيدُ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَنْتَقِصَ قَدْرَ تَضَحِيَّتِكَ .
 وَالْآلِهَةُ شَاهِدَةٌ عَلَى عَظِيمِ فَعَالِكَ وَإِشَارِكِ ذَاتِ
 الْوَطَنِ عَلَى ذَاتِ نَفْسِكَ .

فرباس

: وَهَلْ إِشَارِي الْوَطْنَ عَلَى نَفْسِي كَانَ يَقْتَضِينِي أَنْ
 أَسْلُكَ سَبِيلَ الْغَدْرِ . أَكُنْتَ تَظُنُّ أَخْتِي تُحْجِمُ عَنْ
 الْبَذْلِ وَالْفِدَاءِ إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَنَاجَاةُ الْوَطَنِ . أَمَا
 رَأَيْتَ كَيْفَ نَزَلَتْ عَنْ أَمْوَالِهَا وَعَنْ حَقِّهَا فِي تَسْنُمِ
 ذُرْوَةِ الْعَرْشِ رَاضِيَةً مُخْتَارَةً يَوْمَ أَنْهَيْنَا إِلَيْهَا أَنْ
 الْوَطْنَ يَسْتَصْرِخُهَا وَيُنَادِيهَا إِلَى الْبَذْلِ وَالتَّضَحِيَةِ .
 أَلَا تَعْتَقِدُ أَنَّهَا فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ عَنْ وَطَنِيَّةٍ وَسَمَوٍّ

أحمس

نفس . أ كان من المحتوم وتلك خلالها الرّفيعة أن
أزوجهما لأمزق قلبَ نزيّتا وأرميَ به إلى الحقد
والضعينة . . .

: مولاي لا تبخس الشيوخَ حكمَهم وتجارَهم
فالشّابُّ إذا نظرَ إلى الحياة فإنما ينظرُ إليها نظرةَ
الواقف في سَفَحِ جبل . فهما رمى بنظره إلى القمّة
فهيهات أن يستجليَ ما فيها وما وراءها من خوافٍ
ومجاهل . في حينِ ينظرُ الشيخُ إلى الحياة نظرةَ
الواقف في قنّة الجبل يُشرفُ منها على السّفوح
والأودية . وتنسبطُ أمام عينيه الرّيود والثّنايا
ومنعرجاتُ الجداول والقيعان . فما من مجهلٍ إلا وهو
لديه معلّمٌ وضّاح . . .

: أفرأيتَ إذنَ ما عزّ عليّ أن أراه . . .

: مولاي عفوًا . . . إن منْصِبِي وسِنِّي وخِبرَتِي

فرباس

أحمس

فرباس

بمطاوي النفوس . كلُّ ذلك قد مكَّنني من أن
أكون صادقَ الحكم على الأمور أتوغلُّ إلى كُنْهِ
الأشياء فألمُسُ فيها الحقائق والدقائق . . . إن أختك
نقرتاري لعلی ما ذكرتَ مُنبِّلاً وجُوداً ورفعةً
ووطنیَّة . ولكنَّها لا تعدو أن تكون امرأة . والمرأة
أضعفُ من أن تتغلبَ على أهواء الرجال ولا سيما
إذا كانوا على مكرٍ وحيلةٍ ودهاء . . .

أحمس : مخاوفُك ووساوسُك هذه قد بدَّدَتْها كما يُبدِّد
الريِّح الحُباب . . .

فرباس : من حسن حظَّ البلاد أن عَمَّثَتِ الرِّيحُ بالحُباب فلو
قُدِّرَ لها أن تضطرم جوائِنبُها بأقباسِ اللهبِ وجذواتِ
الجُمرِ لأذَّكتها الرِّيحُ واندلعت منها ألسنةُ النَّيرانِ . . .
والعاقل لا يستصغرُ شأنَ عدوِّه حتى يستظهرَ
عليه . . . ومن نِعَمِ الآلهةِ عليك أن كانت الثَّوراتُ

والفتن في بلادك حباباً ذابَ عند أول عصفَةٍ من
ريحِ عزمك وهَمَّتْكَ . . . فرغتَ من جهادك الأصغر.
ثم تفرَّغتَ لجهادك الأكبر فبلغتَ فيه غايةً تُحْمَدُ
عليها . فسَلِّطْ عواصِفَكَ على الأعداء وأحْرِقْهُمْ
بنيرانهم . . .

أحس : (مفكراً مهموماً) ونزيتا . كيف السَّبِيلُ إلى نِسْيَانِهَا
وسلوَّ حُبِّهَا .

فرباس : إِنَّكَ حَقِيقٌ يَا مَوْلَايَ أَنْ لَا يَخَامِرَكَ عَلَى هَذِهِ الْفِتَاةِ
الْآثِمَةُ أَسْفُ وَلَا نَدَمَ فَقَدْ أَظْهَرْتَ الْأَيَّامُ خُبْتَ
مَعْدِنِهَا . وَهِيَهَاتَ أَنْ تَجِدَ لِإِثْمِهَا وَجْرِيَرَتِهَا شَفِيعاً
وَلَا عَذْرًا .

أحس : أَلَيْسَتْ هِيَ أَيْضاً امْرَأَةً ضَعِيفَةً . أَلَنْعَذُهَا عَلَى أَنْ
كَانَتْ فَرِيسَةً الشُّجُونِ فَبَاعَدَتْ بِهَا أَهْوَاءَ الْفُؤَادِ
عَنْ مَحَبَّةِ الصَّوَابِ .

فرباس

: النَّفْسُ السَّامِيَةُ النَّبِيلَةُ يَا مَوْلَايَ لَا تَسْتَمِرِّي

الدَّعَاوِي والدَّوَاعِي لِتَتَرَدَّى فِي حِمَاكِ الْإِثْمِ وَالْعَارِ .

فَإِنْ نَكَبَهَا الزَّمَنُ انْطَوَتْ عَلَى آلَامِهَا وَأَصَمَّتْ

أُذُنَيْهَا عَنْ فُحْجِ الثَّأْرِ . وَارْتَفَعَتْ بِنُبُلِهَا إِلَى الْإِلَهِ

شَاكِرَةً رَاضِيَةً . وَلَكِنْ مِنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَةِ هَذِهِ

الْفِتَاةِ هَوَانًا وَصَغَارًا وَذِلَّةَ نَفْسٍ وَغَتَّ غُنْصَرُ فَأَيْسَرُ

خَطْبِهَا أَنْ تُضَحِّيَ بِالْوَطَنِ فِي سَبِيلِ ثَارِهَا وَشِفَاءِ

صَدْرِهَا مِنْ حَزَاةٍ نَعَلَتْ فِيهِ بِصَدَا الْأَوْهَامِ . . .

: حَسْبُكَ يَا فَرْبَاسَ حَسْبُكَ فَقَدْ رَمَيْتَ فَأَصْمَيْتَ . . .

أحمس

وَمَهْمَا يَكُنْ كَلَامُكَ رَزِينًا سَدِيدًا فَقَلْبِي يَنْفَرُ مِنْ أَنْ

أَتُخَيَّلَ نَزِيَّتَا آثِمَةٍ مَذْنُوبَةٍ . . . قُلْ إِنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهَا

بَعَيْنِ الْمَحَبِّ الصَّابِي . . . قُلْ إِنْ حَبِي إِيَّاهَا يَصَوِّرُهَا

لِي بَرِيئَةً الْفَوَادِ نَقِيَّةَ الذَّلِيلِ وَلَكِنْ فِي جَنْبِي إِحْسَاسًا

خَفِيًّا يَهْتَفُ بِأَنْ نَزِيَّتَا غَيْرِ آثِمَةٍ وَلَا خَائِنَةٍ . . .

(يسمع ضجة في الخارج)

أحمس : هَلْ جُنَّ هَؤُلَاءِ المَحْمُومُونَ فَزَلُّوا مِنْ حُصُونِهِمْ

(يدخل جنديان ومعهما امرأة ملثمة . يصيح أحمس بالجنديين)

أَيُّهَا الْجُنْدِيَّانِ . (يلتفتان فيريانه فيؤديان التحية العسكرية)

المشهد السابع

أحمس . فرياس . الجنديان . المرأة الملثمة . الحراس .

أحمس : إِلَى أَيْنَ أَتَمَّا ذَاهِبَانِ بِهِذِهِ الْمَرَأَةِ .

جندي : مَوْلَايَ رَأَيْنَا هَذِهِ الْجَاسُوسَةَ تَحُومُ حَوْلَ حَدُودِ

الْمَعْسَكَرِ فَقَبَضْنَا عَلَيْهَا وَكُنَّا ذَاهِبِينَ بِهَا إِلَى قَائِدِ
كُتَيْبَةِ أَمُونِ .

جندي : وَدَدْتُ لَوْ أَقْضِي عَلَيْهَا بِسَهْمٍ لَوْلَا أَنَّهَا اسْتَحْلَفْتَنِي

بِأَقْدَسِ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي أَنْ أُبْقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى تَقَابَلَ الْمَلِكُ .

أحمس : حَسَنَ . كُونَا عَلَى مَسْمَعٍ مِنْ صَوْتِي .

الجنديان : سَمِعْنَا وَطَاعَةَ . (يخرجان)

المشهد الثامن

أحمس . فرباس . المرأة الملهمة . الخراس .

أحمس : أنا هو الملك أيتها السيدة فماذا تريدن .

المرأة : (تسكت مضطربة)

أحمس : ما بالك تضطربين . ارفعي عنك هذا اللثام وكليني

وَجْهًا لَوَجْه .

(تزيج اللثام)

أحمس : (مدهوشاً) نزيता . .

نزيता : نعم نزيता .

أحمس : أفي حلم أنا أم في يقظة (يتلمس نفسه ثم يحدق فيها فلا يبقى عنده

شك أنها هي)

أحمس : ما الذي أتى بك إلى هنا يا خائنة .

فرباس : ليس للخائنات نصيب من حديث الملوك .

مولاي مُرْ بعض هؤلاء الخراس بضرب عنقها .

نزيता : (تحلج الوزير بنظرها)



أحس : ما كنتُ أتوقعُ أن أراكِ يا خائنة .

نزيتا : لقد خنتني أنت .

أحس : ألا تعرفين نصيبَ الخونة .

نزيتا : الموتُ والحياةُ عندي سيَّان .

أحس : بأيِّ وجهٍ تمثِّلينَ أمامي يا من خُنتِ الوطن . يا من

انضمتِ إلى هؤلاء الرُّعاةِ حتى مات أبوكِ حزناً

عليك . مات وهو يلعنُك يا خائنة .

نزيتا : لستُ بخائنة .

أحس : أغريتِ بنا الرُّعاة . دلتِ جيوشهم . حمَّستِ جنودهم .

كفلتِ لهم الانتصار . ولكن شاءت الآلهة أن

تكذِّبكِ . شاءت الآلهة أن تخيِّبَ مسعاكِ يا خائنة .

نزيتا : لستُ بخائنة .

أحس : كيف طاوَعكِ وجدانُكِ أن تريَ بلادكِ فريسةً

بين براثنِ الأعداء . أن تشاهدي قومَكَ عبيداً

أذلاء . أن تنظري الهياكل مُدَنِّسَةً والأطفالَ
مُيَمِّمَةً والمدنَ مهْدَمَةً . كيف أقدمتِ على ذلك .
ألم تخشي أن يَحْسِفَ الإلهُ أُمونَ بكِ الأرضَ التي
تمشين فوقها يا خائنة .

: لستُ بخائنة .

نزيتا

: لا أدري ما الذي يمنعني أن أذيقكِ حَتْفَكَ وأطرحَ
جثَّتَكَ في العراء تنوشُها الوحوشُ وتشربُ من
دمائِكَ الطير (تعاوده ذكرى الماضي فيلطف من حديثه) . أتخونين
بلادًا نَمَتِكَ وسماءَ أَظَلَّتِكَ ونيلاً أَرَوَاكَ . لقد
وشحَّتِكَ الخيانةُ بثوبٍ أَذْكَنَ محاذلكَ الجمالَ الذي
كنتِ عليه . لو نظرتِ إلى خيالِ وجهكِ في صفحةِ
المياه لراعَكَ هذا الهُزالُ .

أحمس

: هو هُزالٌ سَيُفْضِي بي إلى القبر .

نزيتا

: كَأَنِّي بِكِ تريدُ أن تُثِيرِي في قلبي الشُّجونَ .

أحمس

نزيتا

: بل أذكرك بالعهد القديم لتعلم أني مازلتُ أحبُّكَ
وأحبُّ وطني .

أحمس

: لا أفهمُ كلامك .

نزيتا

: كنتُ أتتبعُ أخبارك فأفرحُ لا انتصارك .

أحمس

: أتفرحينَ لا انتصاري وأنتِ بين أعدائي تستمضين
همهمهم علي .

نزيتا

: (يأخذها الغضب) على رسلك . لقد أرييت في القَدَحِ

واللَّوْمِ . أتظنني أقلَّ وطنيَّةً منك ومن وزيرك ومن

جنودك . هربتُ إلى الأعداء . نعم . ولكن لا كونَ

عونا لك عليهم . كنتُ أطوفُ على بني وطني الذين

حَكَمَ عليهم نحسُ الطَّالع أن يكونوا في خدمةِ

الرُّعاة . كنتُ أوغرُ صدورهم وأشيرُ ضغائنهم

وأحشهم على التمرّد والعِصيان . . . كنتُ السَّبَبُ

في حرقِ المؤن وتبديدِ الأسلحة وإلقاء الرُّعب في

قلوب كثيرين من القواد . (تسكت قليلا لتستجمع قواها)
 كم تذللّت للعبيد والحرّاس حتى أعرف بعض
 الأسرار . كم تحمّلت نظرات هؤلاء الأجلاف .
 كم بتّ على الطّوى . كم قضيت الليل سهرًا استرقّ
 السّمع . كم رفرف فوق طائر الموت فنجوت منه .
 فعلت كلّ ذلك من أجل وطني ومن أجلك يا ناكر
 الجليل . ولكنك أعمى لا ترى . أفتتهمني بعد هذا
 بالخيانة أم تسمع لوزيرك فتأمر بضرب عتقي .

أحسن : عفوك يا نزيّتا فما دريت ما فُهِتْ به .

نزيّتا : لا لوم عليك ولا تَثْرِب . قل لوزيرك وحرّاسك

ليتركونا قليلاً فعندي ما أحدثك به . (يشير أحسن إليهم

فيخرجون .)

المشهد التاسع

أحس . نزيئا .

أحس : نزيئا . أكرّر لك العذر لقد كنت أعمى .

نزيئا : ما جئت لأسمع اعتذارك بل جئت لأقول لك إنَّ

هذه القلاع التي عجزت عن فتحها ثلاث مرّات
سأمكنك منها في المرّة الرابعة .

أحس : كيف ذلك . قولي . إني أحسُّ بقلبي يكاد يخرجُ

من صدري .

نزيئا : هوّن عليك واعلم أنَّ هذا المحيّا الذي ترى أنّه غيره

الهزال هو اليوم فتنةٌ لرئيس الحراس في هذه
القلاع .

أحس : ويلك هل أتيت تدفعيني إلى الجنون . ما عهدتُك

تتجاوزين حدّ النّهى في سبيل الثأر والانتقام .

نزيتا : إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ قَدْ أَحَبَّ قَتَى وَاحِدًا هُوَ الْأَمِيرُ

أَحْمَسُ وَلَنْ يُحِبَّ مَا عَاشَ أَحَدًا سِوَاهُ .

أَحْمَسُ : قُلْتُ إِنَّكَ عَشِيقَةُ رَئِيسِ الْحَرَّاسِ .

نزيتا : بَلْ أَنَا عَشِيقَةُ اثْنَيْنِ . الْوَاحِدُ رَئِيسُ الْحَرَّاسِ فِي

هَذِهِ الْقَلَاعِ . وَالثَّانِي رَئِيسُ حَرَسِ قَصْرِكَ فِيمَا

مَضَى .

أَحْمَسُ : أَطَاهُو مَعَكَ فِي هَذِهِ الْقَلَاعِ .

نزيتا : لَبِثَ زَمَنًا يَرْجُو أَنْ أَكُونَ لَهُ حَتَّى هَرَبْتُ مِنْ

طَيْبَةٍ وَلَمْ يَعْرِفْ مَقَرِّي إِلَّا بَعْدَ سَنَتَيْنِ . وَهُوَ الْيَوْمَ

مَتَمَتَّعَ بِثِقَةِ مَلِكِ الرُّعَاةِ وَلَهُ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ فِي هَذِهِ

الْقَلَاعِ .

أَحْمَسُ : لَوْ ظَفَرْتُ بِهِ لَبَقَرْتُ بَطْنَهُ .

نزيتا : وَمَنْ نَكِدِ الدُّنْيَا أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَغْلِظَ لَهُ فِي

الْقَوْلِ خَوْفَ أَنْ يَفْضَحَ سَرِّي .

أحس : ياله من خانٍ زعيمٍ (يسكت قليلا) إذن أنتِ فريسةٌ
عاشقين .

نزيتا : مالي أرى عقاربَ الغيرة قد لسعتك .

أحس : كيف لا تلسعني بعد إذ علمتُ أنكِ محطُّ آمالِ
رجلين .

نزيتا : مالك أنتَ وغرامي . ألم تطلبْ مني أن أنسى الماضيَ
وأترككَ وشأنك لتتزوج أختك . فأني حقٌّ لك
عليّ بعد هذا .

أحس : نزيتا رفقًا .

نزيتا : كنتَ تُحِبُّني فسألك الوطنُ أن تضحيَ بي فأجبته .

أحس : هل جئتَ تثارينَ لنفسكِ مني .

نزيتا : لقد كرّرتَ عليّ هذا القولَ فعَدِّ عن هذه الأوهام .

فلا رئيسُ الحرّاس نال مني وطَرَه ولا طاهو الخائنُ
أدرَكَ مني غايته . (يتهلل وجهه) وأنا لم أتجشم الأخطارَ

وَأَعْرَضَ نَفْسِي لِسَهَامِ الْجَيْشِينَ لَا تَيْكَ وَأَخْبَرَكَ
بِمَنْ يَحْبُونِي . جِئْتُ كَمَا قُلْتَ لَا مَكَنَّكَ مِنْ دُخُولِ
أَقَارِيسَ .

أَحْس : وَكَيْفَ ذَلِكَ .

نَزِيَّتَا : يُقَامُ فِي قَصْرِ مَلِكِ الرُّعَاةِ هَذِهِ اللَّيْلَةُ حَفْلٌ سَاهِرٌ

يُحْتَفَلُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةِ بِذِكْرِ خِذْلَانَ جَيْشِكَ .

فَإِذَا مَرَّ الْهَزِيعُ الثَّانِي مِنَ اللَّيْلِ وَبَلَغَ السَّكْرُ مِنْهُمْ

مَبْلَغَهُ اسْتَدْعَيْتُ رَأْسَ الْحِرَاسِ إِلَيَّ سِرًّا وَاسْتَطَعْتُ

أَنْ أَغْرِيَهُ بِفَتْحِ بَابِ الْقَلْعَةِ الْكَبِيرَةِ فَتَدْخُلَ مِنْهُ

أَنْتَ وَجَيْشُكَ وَتَفُوزَ بِالْقَلَاعِ كُلِّهَا . هَلْ فَهَمْتَ .

أَحْس : لَا . لَمْ أَفْهَمْ . إِنَّ خَطَّتَكَ هَذِهِ لَا تَرُوقُنِي فَمَا كُنْتُ

لَأَتَّكَلَ فِي مَعَارِكِي عَلَى حَيْلِ النِّسَاءِ وَلَا سِيمَا إِذَا

عَرَّضْتُ شَرَفُهُنَّ لِلْخَطَرِ .

نَزِيَّتَا : أَنَا لَا أَعْرَضُ شَرَفِي لِلْخَطَرِ مِنْ أَجْلِكَ بَلْ مِنْ أَجْلِ

وطني . ومتي رأيتني مشرفةً على الخطر أغمدتُ في
صدرى قبل أن يُشلمَ عرضي هذا الخنجرَ الذي لم
يأمنه حرّ أسك . (تخرج من طيات صدرها خنجرًا صغيراً)

أحمس : جميلٌ ما تقولين بيد أني لا أقبل فأنا إن هاجمتُ
لا أهاجم غيلةً وخداعاً . لقد كنتُ في جميع غزواتي
مثالَ الجنديِّ الشريف فلا تُلوّثي سمعتي
بخطّتك هذه .

نزيتا : ما الحربُ إلا خدعةٌ فما يُعجزُ عنه بالقوّة يدرك
بالحيلة .

أحمس : لستُ من الألى يدركون حقوقهم بالحيلة والخداع .

نزيتا : أتأبى عليّ يد المساعدة التي أقدمها لك .

أحمس : كلّ الإباء .

نزيتا : أأشمنزُ من عون امرأة .

أحمس : قد يكونُ ذلك .

نزيتا : أحس . لا تكن عنيداً .

أحس : هيهات أن أقبل .

نزيتا : أتوسل إليك راكعةً أن تقبل . (ترقع)

أحس : انهضي فلا أطيق أن أراك راكعة .

نزيتا : إذن تقبل ما أعرضه عليك .

أحس : لا . فإن قبلتُ فعنى ذلك أنني مدينٌ لك بالنصر ولن

أكون مديناً لأحدٍ في تحرير بلادتي ولو كان أحبَّ
الناس إليّ .

نزيتا : ويحك هل جُننت . إنَّكَ ضحيّةٌ بحبي في سبيل

الوطن فما لك لا تُضحّي بشيء من كبريائك في هذا
السبيل .

أحس : إنني رئيسُ الوطن وممثله لدى الآلهة فما أصابني في

شرفي أصاب الوطن . ثم ما حاجتي إلى الحيلة وأنا
واثقٌ بالنصر .

نزيتا : إنك تفقدني الصواب . ألا يروك أن تستولي

على هذه القلاع المنيعه وتحقن بعض الدماء .

أحمس : أستبيح إراقة دمي في الدفاع عن الوطن دفاعاً

شريفاً . لقد بثت روح الحماسة منذ قليل في نفوس

القواد وسوف يثونها في نفوس الجنود وهم

يستعدون الآن لهجوم عام أبتدى به هذه الليلة .

فإما أن نستولي على هذه القلاع وإما أن نموت في

ساحة الشرف .

نزيتا : ألا تسمع نصحي فتنتصر .

أحمس : سأنتصر بغير سماع نصحك .

نزيتا : هل يطاوعك فؤادك أن تردني خائبة .

أحمس : يعز علي ذلك .

نزيتا : (تهم بالخروج) أستودعك الآلهة إلى الأبد .

أحمس : إلى أين أنت ذاهبة .

- نزيثا : راجعةٌ إلى الرُّعاة .
- أحمس : أتعودين إلى هؤلاء المناكيد .
- نزيثا : كيف لا وقد طردتني شرَّ طرد .
- أحمس : نزيثا .
- نزيثا : أنا عائدةٌ إلى حيثُ لا يُرفضُّ لي طلب .
- أحمس : عودي إلى طيبة مسقطِ رأسك .
- نزيثا : لا .
- أحمس : أمتنعك .
- نزيثا : أنتحرُّ قبل أن تمسَّني يدُ جنديٍّ من جنودك .
- أحمس : ما أشدَّ عنادك .
- نزيثا : يعادلُ عنادك .
- أحمس : أخافُ عليكِ من الموت .
- نزيثا : وأنا أُعدُّ لك رواقَ العزِّ .
- أحمس : (وقد ضاق ذرعاً) أما من سبيلٍ إلى الرُّجوع عن عزِّمك .

نزيتا

: لا .

أحمس : لا حبّذا يومٌ استسلمت فيه يا قلبُ إلى الحبِّ

والغرام (يخاطب نزيتا) اذهبي حيثُ شئتِ فما كنتُ

لأعترضَ سبيلك (تأخذه سورة شديدة من الغضب) يمين

الآلهة لا ينقضي هذا الليلُ حتى أكونَ داخلَ

أسوارِ أقاريس . إنّ أحمس إذا قال فَعَل . أيّها

الحرّاس (يدخل الحراس والجنديان وفر يأس) أيّها الجنديّان

اتبعوا هذه السيدة وأوصلوها حتى آخرِ حدود

المعسكر (تخرج نزيتا مع الجنديين) النفير . . . النفير . . .

فقد عزمْتُ على الهجوم للحال . (يضرب النفير فيهرع

الجنود والقواد من كل ناحية تاركين مضارب خيامهم فيمتلئ المسرح بهم

ويصطفون كتائب على رأس كل منها قائدها) .

أحمس : أيّها الجنود . لقد دنت الساعةُ الرهيبةُ التي تحملُ

لكم العزَّ والشرف . شاءت الآلهة أن نتراجعَ ثلاثاً

لأنَّ في الجيش جندياً يشكُّ في النصر فليبرز لنرى
 كيف يكون وجهُ الجبان . اتخذُكم صخوراً صمَّ .
 أو تعجزُكم أسوارُ حقيرة وقد بنيتم الأهرام .
 أترضون أن تتحكَّم فيكم شعوبٌ من الهَمَجِ الرُّعاة
 يسبون نساءكم ويدبحون أطفالكم ويهدمون
 معابدكم (همهمة في الجيش وحماسة) .

: لا لا لا .

الجنود

: عارٌ علينا إذا جاء بعدنا أبناؤنا وأحفادنا وقالوا كان
 جنودُ أحس جبناء . دنت السَّاعةُ الرهيبة . اهجموا
 على هذه القلاع . اهدموها خرِّبوها . اعملوا
 سلاحكم في قلوب حُرَّاسها . اصبغوا ألوانها بدمائهم
 واجعلوا الدِّماء ممزوجةً بتلك المياه التي تحيط بها .
 (يوجه الخطاب إلى القواد)

أحس

وَأَتَمُّ يَا قُوَّادِي الْأَعْزَاءِ كُونُوا عَلَى رَأْسِ جُنُودِكُمْ
وَعَلِّمُوهُمْ كَيْفَ يَنْتَصِرُونَ . أَمَّا أَنَا فَسَأَسِيرُ فِي
مَقْدَمِكُمْ لِأَعْلَمَكُمُ كَيْفَ تَمُوتُونَ .

الجميع : الموت في سبيل الوطن .

(يضرب النفير الثاني فتسير الجنود مارة أمام الملك وهي تنشدهم النشيد الوطني
ثم يسدل الستار)

النشيد الوطني

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هَيَّا نَذِرُكَ الشَّارَ الدَّافِينَ
نُسْرِجُ الْخَيْلَ وَنَسْعَى لِلْوَغَى مُسْتَبْشِلِينَ
لَيْسَ مَنْ يَرْضَى بِذُلٍّ غَيْرُ شَعْبٍ مُسْتَكِينٍ
نَحْنُ أَبْنَاءُ جُنُودٍ فَتَحُوا كُلَّ حَصِينٍ
نُغَالِبُ الزَّمَانَ وَنَضْرَعُ الْمِحْنَ
وَنَفْتَدِي الْوَطَانَ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنِ

* * *

نَحْنُ إِنْ سَرْنَا لِحَرْبٍ قِيلَ آسَادُ جِيَاعٍ

نَمَلًا الْجَوَّ زَبِيرًا يُرْعِبُ الْقَلْبَ الشُّجَاعُ
 فَخَرْنَا قَهْرُ الْأَعَادِي دَابُّنَا دَكُّ الْقِلَاعِ
 هَمُنَا إِنْقَادُ مِصْرٍ مِنْ وَحُوشٍ وَسِبَاعِ
 نَغَالِبُ الزَّمَنُ وَنَضْرَعُ الْمِحَنُ
 وَنَفْتَدِي الْوَطَنُ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنُ

* * *

نَطْلُبُ الْمَوْتَ لِيَحْيَا وَطَنُ نَحْنُ فِدَاهُ
 رَخِصَتْ فِيهِ الضَّحَايَا وَتَرَامَتْ فِي ثَرَاهُ
 كُلُّ مَا نَطْمَعُ فِيهِ مِيتَةٌ دُونَ حِمَاهُ
 مَنْ تَحَدَّأَنَا نَخْضِبُ أَرْضَ مِصْرٍ بِدِمَاهُ
 نَغَالِبُ الزَّمَنُ وَنَضْرَعُ الْمِحَنُ
 وَنَفْتَدِي الْوَطَنُ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنُ

* * *

أَنْتِ يَا مِصْرُ بِلَادُ هِيَ جَنَّاتُ النَّعِيمِ
 ذِكْرُهَا فِي الْقَلَمِ سِحْرُهَا فِي الصِّمِيمِ

أَنْتِ مَجْلَى كُلِّ مَجْدٍ مِنْ حَدِيثٍ وَقَدِيمٍ
 دُمْتَ فِي عِزٍّ مَنِيْعٍ فِي حِمَى «رَاعِ» الْعَظِيمِ
 نَغَالِبُ الزَّمَنِ وَنَضْرَعُ الْمِحَنِ
 وَنَفْتَدِي الْوَطْنَ بِالرُّوحِ وَالْبَدَنِ

الفصل الثالث

تجري حوادث هذا الفصل داخل أسوار أثاريس في قصر ملك الرعاة .

المشهد الأول

نزيتا وحدها

واقفة في زاوية من زوايا البهو الكبير تنظر إلى الموائد الممدودة استعداداً للحفل ولا تكاد تراها فقد كانت مستسلمة إلى التفكير العميق ثم تنتفض فجأة وتناجي نفسها .

: أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الصَّبْرُ فُتْنَقِذْنِي مِنْ بَرَاثِنِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ
وَالْجُزَعِ . أَيْنَ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْآلِهَةُ فَتَرَأْفِي بِفِتَاةٍ
خَاتَمَهَا قَوَاهِمَا فَأَصْبَحْتُ لَا تَقْوَى عَلَى مُوَاصَلَةِ
الْكَفَاحِ . أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَوْتُ فَتَنْشِلْنِي مِنْ
عَذَابِ الدُّنْيَا إِلَى رَاحَةِ الْأَبَدِ . أَيْنَ وَأَيْنَ وَأَيْنَ . وَكَمْ
مِنْ سَوَالٍ مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ يُجَارُّ بِهِ الصَّوْتُ
الْحَزِينِ وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا يَبْتَلَعُهُ الْعَدَمُ فَلَا
جَوَابَ وَلَا صَدَى . حَارِبَتْنِي يَا زَمَانُ فِي حُبِّي

نزيتا

وغرامي فانتزعت مني الحبيبَ وقد كان ضياءَ
 العين وخفقةَ الروح وريحانةَ الفؤاد . ثم حاربتني
 في تضحيتي فلم تُلهم أحسنَ بقبول معونتي فانهارَ
 الأمل وضاع الرجاء وذهبت تضحيتي سُدى . فلستُ
 اليومَ في أعين أهلي وعشيرتي ووطني إلا الخائنةَ
 الأثيمةَ التي فرّت إلى الأعداء لتسفي ببرّهم وفضلهم
 حزازاتِ صدرها المستعرِ بنارِ البُغض والشَّحْناء .
 أيّتها الآلهة يا من تعرفين نجاء القلوب وهَمْسَ النفوس
 ساعدي فتاتك الحيرى . فليقاء الحبيب وجفاؤه
 وكبرياؤه قد أذوى من نفسها كُلَّ أملٍ ناضِرٍ بِسَّام .

(تسكت قليلا ثم تمشي في البهو مطرقة الرأس وعلى

حين غرة ترفع رأسها فتري طاهو مقبلا عليها) .

المشهد الثاني

نزيتا . طاهو .

طاهو : لقد وجدتكَ أخيراً فأين كنتِ .

: ما شأنك أنت . هل أقت علي رقيباً .

نزيتا

: لا . غير أن الذهاب إلى معسكر أحس يعرضك
للخطر .

طاهو

: هذا أمره لا يعنينا .

نزيتا

: لو رآك أحد غيري لما سلمت من الموت . فما كلهم
« طاهو » الذي نزلت من قلبه في الشغاف .

طاهو

: ما أنت « طاهو » الذي عرفته . فطاهو الذي
يحدثني الآن إنما هو رجلٌ خان غداره
أثيم ...

نزيتا

: ترفقي قليلاً يا نزيتا . ألا تشعرين بأنه لا يهنا لي عيش
إلا بقربك .

طاهو

: بنست الحياة بقرب خان .

نزيتا

: ليس لمثل هذه الألفاظ أقل تأثير في .

طاهو

نزيتا : حَقًّا . فَإِنَّ مَنْ عَبْدَ سَوْتِيخَ الَّذِي غَضَبْنَا عَلَيْهِ . إِنَّ مَنْ
 باعَ وطنَهُ لقاءَ بِدَرٍ حَقِيرَةٍ مِنَ الْأَمْوَالِ لَيْسَ لَهُ
 وجدانٌ يُوَبِّخُهُ .

طاهو : وجدان . . . أضيفي كلمة وجدان إلى لفظة خائن فما
 هي إلا وهمٌ وخيال . أمَّا الحقيقةُ التي لا جدالَ فيها
 فهي ما يمتنعُ به الإنسانُ في هذه الحياةِ من عزٍّ
 وجاهٍ ومالٍ .

نزيتا : يالكَ من خائنٍ .

طاهو : وبفتاة فتانةٍ مثلك هي بهجةُ الحياةِ وأملُ النفوسِ .

نزيتا : خَسِئْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَنَالَ قُلَامَةً مِنْ ظُفْرِي .

طاهو : هَدَيْتِي رَوْعَكَ وَاعْلَمِي أَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْتَقِدُ بِشَيْءٍ

يُسَمَّى وَطَنًا إِنَّمَا هُوَ مَجْنُونٌ أَبْلَهَ . ماذا يهمني أن

تكون بلادي حُرَّةً أَوْ مُسْتَعْبَدَةً . وماذا يهمني أن

نكونَ حَكَّامَ الْعَالَمِينَ أَوْ عبيدًا أَذِلَّةً ما دامت

خزائني مملوءة بالذهب وما دمت رفيع القدر أقابل
بالتعظيم والإجلال أني كنت .

نزيتا : فقا أمون عينيك حتى لا ترى مجالي هذا المجد الذي
تزهي به .

طاهو : إن غضبك وحدتك يزيدانك بهاءً وجمالاً . أما زلت
مصرةً على عنادك .

نزيتا : ما للخونة نصيب من عطف بنات الأشراف .

طاهو : إذن لقد تجلّت الحقيقة لعيني فانت تكرهيني
وتحبين رئيس الحراس في هذه القلاع فكم رأيكما
مختلين تتناحيان بأحاديث الهوى والغرام .

نزيتا : حسبك أن تعلم أن قلبي لا يتسع لحب رجلين .

طاهو : ويل لك لأهلكك أنت ومن تحبين . ما كان

يمنعني من كشف أمرك لملك الرعاة حتى اليوم
وإطلاعه على أنك جاسوسة أحس عليه إلا ما يخالج

قلبي من عاطفة الحب لك . أمّا وأنتِ تُحِبِّينَ هذا
الحارسَ فسأُكشِفُ أَمْرَكَ فلا تَطْلُعُ شمسٌ غَدٍ حتّى
تكوني أنتِ وحيبيك جُثَّتَيْنِ هامدتين .

نزيّتا : هيهات . إنّ من أحبّه لن تصلَ إليه يداك . ولئن
جمَعْتُهُ الآلهةُ بك ليوردنَكَ حَتْفَكَ .

طاهو : هذا القَدَرُ يورِدُنِي حَتْفِي . سوف تَرَيْنِ مصيرَه .

نزيّتا : اِرْمِ به حيثُ شئتَ فما كنتُ لأَكْثُرَ ثَلَه .

طاهو : (متودداً لها) نزيّتا لِمَ هذا الجفاء . تعالِيْ نتركْ هذه

القلاع ونهرب إلى بلدٍ بعيدٍ نعيشُ فيه آمنين
مطمئنين فعندي من الأموال ما يَكْفُلُ لنا حياةً
سعيدةً هنيئةً .

نزيّتا : حملتني آلهة الشرِّ إنّ فعلتُ هذا . أأنا أسيرُ معك ...

طاهو : إذا كنتِ تفضّلين البقاء هنا فأنا طَوْعُ بَنَانِكَ .

غداً إذا شئتِ يُحْتَفَلُ بزواجنا .

- نزيتا : أَرْفُ إِلَى مَنْ خَانَ بِلَادَهُ .
- طاهو : أَيُّ جَيْشٍ هَذَا الَّذِي تَمَرُّ السَّنُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَسْتَوْلِيَ عَلَى قِلَاعِ الْأَعْدَاءِ وَيُطْرِدَهُمْ مِنْهَا .
- نزيتا : سَيُفْلِحُ عَمَّا قَرِيبَ .
- طاهو : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ .
- نزيتا : كَذَّبْتَكَ الْآلِهَةَ .
- طاهو : مَا لَنَا وَلِهَذَا . لَتَنْزِلِ الصَّوَاعِقُ عَلَى الْوَطْنَيْنِ .
- نزيتا : حَسْبِيَ أَنِّي أَفُوزُ بِكَ وَأَتَمَتُّعُ بِجَمَالِكَ . (يَهْمُ بِتَقْبِيلِهَا)
- طاهو : أَرْجِعْ عَنِّي وَإِلَّا مَلَأْتُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ صِيَاحًا .
- نزيتا : (يَهْجُمُ عَلَيْهَا ثَانِيًا) نَزَيْتَا إِنِّي أَحْبُّكَ حُبًّا يَقَارِبُ الْجُنُونَ .
- نزيتا : قُلْتُ لَكَ أَرْجِعْ عَنِّي . (يَدْخُلُ رَئِيسُ الْحَرَّاسِ)

المشهد الثالث

نزيتا . طاهو . رَئِيسُ الْحَرَّاسِ .

رَئِيسُ الْحَرَّاسِ : (يَرَى طَاهُوَ هَاجِمًا عَلَى نَزَيْتَا) خَسِئْتُ يَا نَذْلَ . أَفِي حِصْنِ
الْمَلِكِ أُتُوفِسُ يُعْتَدَى عَلَى النِّسَاءِ . وَحَقِّ سَوْتِيخِ

العظيم لولا حُرْمَةُ هذا المكانِ لَمَثَلْتُ بِكَ تَمْثِيلًا .

طاهو : (يذهل أولاً للمباغطة ثم يستعيد جأشه) أَأَنْتَ تُمَثِّلُ بِي أَيُّهَا

الوَعْدُ الْجَبَانُ . أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتِكَ وَحَيَاةَ هَذِهِ
الْفَاجِرَةِ مُعَلَّقَتَانِ بِكَلِمَةٍ تَلْفِظُهَا شَفَتَايَ .

(تضطرب نزييتا وتخشى أن يفضح طاهو سرها)

رئيس الحراس : وَمَاذَا عَسَاكَ تَقُولُ أَيُّهَا النَّذْلُ . أَتَقُولُ لِلْمَلِكِ

أُوفِيسٍ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَ مَشْوَكَ وَأَنْزَلَكَ الْمَنْزِلَةَ
الْكَرِيمَةَ فِي بِلَاطِهِ أَنَّكَ تُدَنِّسُ قَصْرَهُ وَتَعْبَثُ
بِحُرْمَةِ جَوَارِيهِ .

طاهو : (ينظر إلى نزييتا نظرة ذات معانٍ) بَلْ أَقُولُ لَهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً

كَفِيلَةٍ بِأَنْ تُطِيحَ بِرَأْسِكَ وَرَأْسِ هَذِهِ الدَّائِسَةِ .

(ينتفض رئيس الحراس ويهم بالهجوم على طاهو فتقف نزييتا بينهما)

وتقول وهي مضطربة تخاطب رئيس الحراس)

نزييتا : سَيِّدِي . سَيِّدِي . لَا تَحْفَلِ بِكَلَامٍ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ .

وَالزَّمْ مَا عَرَفْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ . وَاسْخَرْ

من وَعِيدٍ لَا يَتَجَاوَزُ شَفَةَ قَائِلِهِ . لَنْ اسْتَطَاعَتْ
كَلِمَتُهُ أَنْ تُطِيحَ بِرَأْسِي إِنْ لَا إِخَالُهَا بِالْغَةِ مِنْكَ
مَأْرَبًا . . .

رئيس الحراس : وَحَقَّ سَوْتِيخَ الْعَظِيمِ لِأَمْرٍ قَنَّ بِذُبَابَةِ سَيْفِي شَفَتِيهِ
الْأَثِمَتِينَ قَبْلَ أَنْ يَتَنَاوَلَكَ بِكَلِمَةٍ سَوْءٍ . . .

طاهو : وَيَحَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ . أَتَتَوَعَّدُنِي وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنْ

سَيْفِي أَسْرَعُ إِلَى قَلْبِكَ مِنْ مَطَارِحِ الظُّنُونِ . سَلْ
إِنْ شِئْتَ خَلِيلَتِكَ هَذِهِ تَخْبِرُكَ الْخَبَرَ الْيَقِينَ . . .

(ثُمَّ يَخْرُجُ وَهُوَ يَقُولُ هَازِنًا) إِلَى الْمُلتَقَى الْقَرِيبِ

يَا آنَسْتِي . . . إِلَى الْمُلتَقَى الْقَرِيبِ أَيُّهَا الْبَطْلُ

الْمَغْوَارُ . . . (تَشُورُ ثَائِرَةُ رَئِيسِ الْحَرَّاسِ لِهَذِهِ السَّخَرِيَّةِ فِيهِمْ أَنْ

يَلْحَقَ بِطَاهُو لِيُنَاقِشَهُ الْحَسَابَ فَتَحُولُ نَزِيرَتَا دُونِ رَغْبَتِهِ فَيَعُودُ إِلَيْهَا وَهُوَ

(يَقُولُ)

المشهد الرابع

نزيتا . رئيس الحراس .

رئيس الحراس : لقد بعثتني الآلهة لكي أتقذك من شرّ هذا
اللعين .

نزيتا : شكرًا لك يا سيدي وألف شكر .

رئيس الحراس : هل نالك بأذى . أخبرني حتى آتيك برأسه
وأطرحه تحت موطئ قدميك .

نزيتا : أمثلي تصغي إلى مطارحات أمثاله .

رئيس الحراس : لا ريب في ذلك فلي في فؤادك المنزلة الرفيعة . أليس
كذلك يا نزيتا .

نزيتا : قلت لك غير مرة إنني أجلك كل الإجلال .

رئيس الحراس : هل يُغذي فؤادي إجلالك إياي . إني لأصبو إلى
شيء غير الإجلال وهو أن تشاركني في هواي

وتقبليني زوجاً لك .

نزيتا : أَمْثَلُكَ حارساً شجاعاً يتكلم عن الحب والزَّواج
والبلاد في حربٍ مستعرةٍ اللهب .

رئيس الحراس : ما كانت هذه الحربُ لتحولَ دونَ شواغلِ الفؤاد .
لو أنَّها حربٌ ضروسٌ تشتبكُ فيها السيوفُ
وتتعانقُ الأسلحةُ لفهمتُ مرادك . ولكن نحنُ في
قلاعِنَا أَمْنَعُ من العُقبانِ . وهؤلاءِ المصريُّونَ لن
يَصِلُوا إلينا ولو تعلَّقوا بِجبالِ الهواءِ .

نزيتا : هل هذه القلاعُ من المناعةِ بحيثُ تقول .

رئيس الحراس : جبالٌ شامخةٌ تناطحُ السَّحابَ حُصِّنَتْ منافذُها
بأفتكِ مُعدَّاتِ الدَّمارِ وقامت في وسطِ بحرٍ لحيٍّ
فكيف تريدُن أن يَصِلَ إلينا هؤلاءِ المجانين .

نزيتا : من يدري فلزَّمانِ مفاجآتٍ لا يعلمُ بها غيرُ
السَّحرةِ .

رئيس الحراس : لا يا سيدتي . فما دُمتُ أنا موكِّلاً بالحراسة فكوني
واثقةً بأنَّ هذا الجيشَ المرابطَ على بُعدٍ منا لن
يستطيع الوصولَ إلينا .

نزيتا : إنك لذو شأنٍ في هذه القلاع .

رئيس الحراس : (تأخذه الحياء) أنا كل شيء . . . أنا حامي هذه
الحصون وحارسُ بابها الكبير . أيرُضيكِ هذا
المنصبُ فتقبليني زوجاً لك .

نزيتا : أنا كثيرةُ المطامع فهل أنتَ أهلٌ لأنْ تحققَ
مطامعي .

رئيس الحراس : أحقق لك كلَّ ما تبتغين .

نزيتا : كلَّ ما أبتغي .

رئيس الحراس : أجل كلَّ ما تبتغين ولو أدَّى بي ذلك إلى سفكِ
دمي .

نزيتا : هبني دعوتك إلى هجرانِ هذه القلاع .

رئيس الحراس : أَهْجُرْهَا مَتَى وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا .

نزيتا : هَبْنِي طَلَبْتَ مِنْكَ ...

رئيس الحراس : طَلَبْتَ مَاذَا .

نزيتا : بَرَهَانًا عَلَى حَبِّكَ إِيَّاي .

رئيس الحراس : أَطْلُبِي أَيَّ بَرَهَانٍ شِئْتَ .

نزيتا : إِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِي هَوَاكَ فَافْتَحْ لِلْعَدُوِّ بَابَ الْقَلْعَةِ

الْكَبِيرَةِ إِذَا هَجَمَ عَلَيْنَا .

رئيس الحراس : (فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ) مَاذَا تَقُولِينَ . أَتَعْبَثِينَ بِشَرَفِي

الْعَسْكَرِيِّ . أَتَدْفَعِينَنِي إِلَى خِيَانَةِ الْوَطَنِ . لَوْ لَمْ

تَكُونِي ...

نزيتا : (مُقَاتِلَةً) أَعْظَمُ بِكَ مِنْ رَجُلٍ شَجَاعٍ . بَارَكَ

سَوْتِيخُ فَيْكَ . مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ أُسَبِّرَ غَوْزَكَ . أَمَّا

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى شَجَاعَتِكَ وَوَطَنِيَّتِكَ فَقَدْ مَالَتْ

نَفْسِي إِلَيْكَ .

رئيس الحراس : (متهللاً) أَصِحِّحْ مَا تَقُولِينَ .

نزيتا : أَمْرٌ تَابَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ .

رئيس الحراس : شَكَرًا لِلْآلِهَةِ فَقَدْ طَلَعَ كَوَكَبُ سَعَادَتِي (إلى نزيتا)

أَنَا مُضْطَرٌّ يَا عَزِيزَتِي أَنْ أَعُودَ إِلَى مَوْقِفِي أَزُودُ
جُنُودِي بِالْأَوَامِرِ . وَغَدًا . . .

نزيتا : غَدًا نَفَاجِيُ الْمَلِكَ وَالْحَاشِيَةَ مَفَاجَأَةً . . .

رئيس الحراس : لَطِيفَةٌ سَارَّةٌ .

نزيتا : أَجَلٌ . لَطِيفَةٌ سَارَّةٌ .

(يُخْرَجُ فَتَوَدَّعُهُ مَتَحَبِّبَةً إِلَيْهِ ثُمَّ تَلْتَفَتَ فَتَرَى طَاهُوَ)

المشهد الخامس

نزيتا . طاهو .

نزيتا : مَاذَا رَجَعْتَ تَعْمَلُ هُنَا .

طاهو : رَجَعْتُ أَهْنُوكَ بِعَشِيْقِكَ .

نزيّتا : إذا كان هذا ما رجعت لأجله فأطلبُ إليك

أن تعودَ من حيثُ أتيت .

طاهو : لا أعودُ إلا بعدَ أن تعاهدني على الزّواج .

نزيّتا : تطلبُ المُحال .

طاهو : إذن أكشفُ أمرَك .

نزيّتا : أيطاوعُك أن تكونَ السّببَ في هلاكي .

طاهو : لأنّ أراكِ مُضَرَّجَةً بدمِكِ خيرٌ من أن أراكِ

مُتَعَةً لغيري .

نزيّتا : يالكَ من خانٍ قاسي القلب . بل يالكَ من وحشٍ

مفترس .

طاهو : أمّا الخيانةُ فأمرُها هين . وأمّا أنّي وحشٌ مفترس

ففي قُدْرَتِكَ أن تجعلِي من هذا الوحشِ الضّاري

حملاً وديعاً يَتمرُّ بأمرِكِ وينتهي بنهيك .

نزيّتا : هل بلغ بك الجنونُ إلى الظنّ أنّي أكونُ امرأةَ

رجل خان بلاده .

طاهو : زَيْنَ لي الخيانةَ حبُّ الانتقام .

نزيتا : أَلَمْ تكن صنيعةَ الأعداء . أَلَمْ تكن وأنتَ في

مَنْصِبِكَ بالقصر أذنًا لهم وعَيْنًا .

طاهو : كَلَّا وحقَّ أُمون وإِنما هي مظنةٌ أَخَذني بها

الوزير فرباس وأنا منها براء .

نزيتا : أَلَمْ تَقِرَّ إلى أهل النوبة . أَلَمْ توغِرْ صدورَ أهلها

وتدفعهم إلى التمرُّد والعِصيان .

طاهو : أَ كُنتَ تريدني أن أقدمَ عنقي للجلاد وأنا بريء

مما اتُّهَمْتُ به .

نزيتا : أَلَمْ تُعِدِ الكَرَّةَ بعد أن استتبَّ الأمنُ في النوبة

سنوات فاضطُرَّ مملِكُنَا أحس أن يتركَ ساحةَ

الحرب ليقضيَ هو نفسه على ثورةِ النوبة فمَلَكَ

الجنُّ إلى الفرارِ والعودةِ إلى الأعداء . فمَنْ تريدُ

إِذْنِ الْإِتِّقَامِ .

: مِنْ كُلِّ مَنْ سَعَى فِي ضُرْرِي وَإِذْنِي . أَلَمْ يَبْلُغْكَ
أَنَّ الْوَزِيرَ فَرَبَّاسَ قَدْ حَاكَمَنِي مُحَاكَمَةَ الْغَائِبِ فَصَادَرَ
أَمْوَالِي وَأَمْلَاكِي وَدَمَغَنِي بِتُهْمَةِ الْخِيَانَةِ وَكُلُّ ذَنْبِي
أَنِّي خَشِيتُ الْأَعَاصِيرَ فَأَثَرْتُ الْهَرْبَ .

طاهو

: هَلَّا ثَابَ إِلَيْكَ رُشْدُكَ وَكَفَرْتَ عَنْ جِرَائِمِكَ
وَعَدْتَ إِلَى بِلَادِكَ فَالْوَطَنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الرِّجَالِ .

نزيتا

: هِيَهَاتَ .

طاهو

: أَمَا فِي صَدْرِكَ ضَمِيرٌ يُوَبِّخُكَ . أَلَا يَرِقُّ قَلْبُكَ
لَتِلْكَ الدِّمَاءِ الَّتِي تُرَاقُ هَدْرًا مِنْ دِمَاءِ إِخْوَانِكَ
وَبَنِي جِلْدَتِكَ .

نزيتا

: سَيِّانٌ عِنْدِي ذَلِكَ .

طاهو

: فَفَكَّرَ فِي أَنَّ رُوحَكَ سَيَمُثِّلُ يَوْمًا لَدَى مُحْكَمَةِ
أَوْزِيرِيسَ يَحَاكِمُكَ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ قَاضِيًا .

نزيتا

طاهو

: أَعْرِفُ ذَلِكَ فَمَا كُنْتُ لِأَخْشَى تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَأَنَا
 لَمْ أَسْرِقْ خَبْزَ الْمَعَابِدِ . وَلَمْ أَتْهَكْ حَرَمَةَ جِثِّ
 الْمَوْتَى . وَلَمْ أَبْعِدِ الْقَمْحَ بِشْمَنِ بَاهِظٍ . وَلَمْ أَقْتَنَصْ
 طَيُورَ الْآلِهَةِ . وَلَمْ أَقْطَعْ قَنَاءً فِي مَمَرِّهَا . فَكَمْ
 أَطْعَمْتُ الْجِيَاعَ . وَسَقَيْتُ الْعِطَاشَ . وَكَسَوْتُ
 الْعُرَاةَ . وَآوَيْتُ الْأَغْرَابَ .

نزيتا

: كُلُّ هَذَا يَضِيعُ فِي جَانِبِ مَا اقْتَرَفْتَ مِنْ خِيَانَةِ
 الْوَطَنِ . أَلَا تَخْشَى أَنْ يَسْتَوْلِيَ أَحْمَسَ عَلَى هَذِهِ
 الْقِلَاعِ فَيَعَامِلَكَ مَعَامِلَةَ الْخَوْنَةِ . يُذِلُّ قَدْرَكَ
 وَيُذِيقُكَ أَلْوَانَ الْعَذَابِ قَبْلَ التَّنْكِيلِ بِكَ .

طاهو

: لَنْ يَظْفَرَ بِي حَيًّا أَرْزُقُ . لَنْ اسْتَطَاعَ إِخْمَادَ ثَوْرَةِ النَّوْبَةِ
 أَوَّلًا وَثَانِيًا بَعْدَ إِذْ أَشْعَلْتُ نَارَهَا إِنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ
 اقْتِحَامَ هَذِهِ الْقِلَاعِ . وَهَبِيهِ اسْتَطَاعَ فَسَادًا كَوْنُهُ عَلَى
 رَأْسِ الْحَامِيَةِ أَحَارِبُهُ حَتَّى أَسْقَطَ صَرِيْعًا .

: ظننتُ الشَّجَاعَةَ هَجَرْتُكَ لَمَّا هَجَرْتَ الْوَطْنَ .

نزيتا

: لَا . فَأَنَا مَا خُنْتُ الْوَطْنَ إِلَّا لَمَّا أَصَابَنِي مِنَ الظُّلْمِ
وَالْجَوْرِ فِيهِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَثَارَ لِنَفْسِي وَأَرْوِي غُلِيلِي
الْمُضْطَرَمَّ بِنَارِ الْحَقْدِ .

طاهو

: أَتَنْتَقِمُ مِنْ وَطْنٍ بَرَمْتَهُ لِإِسَاءَةٍ لِحَقَّتِكَ مِنْ فَرْدٍ .

نزيتا

: إِنَّ حَبَّ الْإِنْتِقَامِ يَصِلُ بِالْمَرْءِ إِلَى أْبَعْدِ مَدَى
الْخِيَانَاتِ .

طاهو

: إِذَا كَانَ قَلْبُكَ قَدْ أُشْرِبَ حَبَّ الْإِنْتِقَامِ فَانْتَقِمْ
لِوَطْنٍ مِنْ أَوْبَاشٍ هَتَكُوا سِتْرَهُ وَسَبَّوْا نِسَاءَهُ
وَاسْتَحْلَوْا حَرَامَهُ . أَيْنَ أَبُوكَ . أَيْنَ أَخُوكَ . أَمَا عَاشَا
عَبْدِينَ ذَلِيلِينَ عِنْدَ حَاكِمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ . أَيْنَ
أَخْتُكَ أَمَا كَانَتْ أُمَّةً عِنْدَ حَاكِمٍ مُمْفِيسٍ . لِمِثْلِ
هَذَا فَلْيَكُنْ الْإِنْتِقَامُ .

نزيتا

: (يَفْكَر)

طاهو

نزيثا

: عُدْ إِلَى نَفْسِكَ تَعْلَمْ شِنَاعَةَ الْجَرِيرَةِ الَّتِي اجْتَرَحَتْهَا .
 فَلَسَوْفَ تَعِيشُ مَا عِشْتَ وَأَشْبَاحُ الضَّحَايَا مِثْلُهُ
 لَعِينُكَ تَسْتَصْرِخُ مِنْ جَوْرِ الْخَوْنَةِ . إِذَا مَشَيْتَ
 رَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ مُصْبُوغًا بِدَمِ إِخْوَانِكَ الشُّهَدَاءِ .
 إِذَا رَقَدْتَ صَوْتٌ مَذْعُورًا عَلَى أَصْوَاتِ الْمَوْتَى مِنْ
 بَنِي جِلْدَتِكَ تَنَادِيكَ يَا قَاتِلَ . إِذَا اسْتَسَلَمْتَ إِلَى
 الْأَفْرَاحِ فَسَوْفَ تَرَى الْحُمْرَ الَّتِي تَشْرِبُهَا مَمْزُوجَةً
 بِدَمَاءِ الشُّهَدَاءِ فَيَسَاوِرُكَ النَّدَمُ وَلَاتَ سَاعَةٌ
 مَنْدَمَ .

طاهو

: كَفَى . كَفَى . إِنَّكَ تُحْمِيْنُ فِي قَلْبَا كُنْتَ ظَنَنْتَهُ مَاتَ
 إِلَى الْأَبَدِ .

نزيثا

: لَا . فَإِنَّ مِنْ أُنْبَتَتِهِ مِصْرَ وَأَرْوَاهُ النَّيْلُ لَا يَكُونُ
 خَائِنًا . فَامْضِ إِذْنًا إِلَى الْقِتَالِ وَكَفِّرْ عَنْ جَرَمِكَ
 وَاعْمَلْ وَإِخْوَانِكَ عَلَى أَنْ تَرْجِعَ لِلشَّعْبِ حَرِّيَّتَهُ

وترفع للوطن هامته وحينئذ تمحو الجريمة وتغسل العار .

طاهو : قلت لك إنك أيقظت في ميت الوجدان . أرى
شناعة ما فعلت . أرى تلك الدماء تسيل تحت
قدمي . تتلوّث بها ثيابي . تتلطّخ بها يدي . تمتزج
بكأس الماء التي أشربها . آه . ما أشقاني . ما الذي
جئت أعمله عندك . ما الذي أتى بي إليك ثانياً .

نزيتا : الوطن .

طاهو : سحقاً لي من شقي .

نزيتا : لا تجعل اليأس يتسرّب إلى قلبك فما زال عندك
متسع من الوقت لكي تكفر عما ارتكبت .

طاهو : لم يبق لي إلا أن أموت بعد إذ عرضتني لتبكيت
الضمير .

نزيتا : إذا شئت كفرت عما سلف منك .

طاهو : وكيف السبيلُ إلى ذلك .

نزيتا : إِنَّ مَلِيكَنَا أَحْمَسُ سَيَهْجُمُ اللَّيْلَةَ عَلَى هَذِهِ الْقَلَاعِ
فَافْتَحْ لَهُ بَابَ الْحَصَنِ الْكَبِيرِ .

طاهو : والحارس .

نزيتا : رَاوِغُهُ وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَأَقْتُلْهُ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَفَّرْتَ
عَنْ جَرِيْمَتِكَ وَكُنْتُ أَنَا لَكَ .

طاهو : تكونين لي .

نزيتا : أَجَلْ . أَقْسَمُ وَأَمُونُ .

طاهو : إِذْنُ تَرِي كَيْفَ أَكْفِّرُ عَنْ جَرْمِي . سَأَقْتُلْهُ .

نزيتا : أَقْتُلْهُ (تَلْتَفَتَتْ فَتَرَى بَعْضَ الْقَادِمِينَ فَتَقُولُ لَطَاهُو) اذْهَبْ .

(يَبْقَى مُتَرَدِّدًا يُرِيدُ أَنْ يَكَلِمَهَا فَتَتْرَكُهُ وَتَعُودُ إِلَى وَسْطِ الْمَسْرَحِ فَيُخْرِجُ

هُوَ وَتَلْتَفَتِي هِيَ بِالْقَادِمِ فَيَقُولُ لَهَا) أَأَنْتِ هُنَا .

نزيتا : وَهَلْ مَا يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ وَالِاسْتِغْرَابِ . (تَخْرُجُ)

المشهد السادس

ساتان . بيان .

ساتان : مالك تستبقُ الخُطى إلى هذا المكان . أما كان

الأولى بنا ونحن من أكابر القواد أن نصحب
الملك فنظفر بالشرف الأثير في مرافقة ركابه .

بيان : أتظنُّه يهتمُ بمن يرافقه أو لا يرافقه . فهو منذُ زمنٍ

ثائرُ الأعصاب لا يشغله سوى مجالسِ اللهو
والطرب .

ساتان : كيفما كان الأمر فما ضرَّنا لو تريثنا قليلاً . ثم مالي

أراك متحاملاً عليه وهو الذي رفعنا إلى هذه المنزلة
الرفيعة .

بيان : من داهن الملك فقد أضلَّه . ولا أريد أن أكون ذلك

الرجل . فإمعنى هذه المآدبِ الصاخبة والليالي

السَّاهِرَةُ الَّتِي يُصِرُّ عَلَى إِقَامَتِهَا . هَلْ انتَصَرْنَا عَلَى
الْأَعْدَاءِ .

ساتان : كَيْفَ لَا وَقَدْ دُحِرُوا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ

يَفْتَحُوا ثَغْرَةً وَاحِدَةً فِي هَذِهِ الْقِلَاعِ الْمُنِيْعَةِ .

بيان : كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْزَلَ مِنْ حَصُونِنَا وَنَحَارِبَ هَؤُلَاءِ

الْمُحَاصِرِينَ وَنَرْدَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ .

ساتان : مَاذَا يَضِيرُكَ أَنْ تَكُونَ فِي عِدَادِ حَاشِيَةِ الْمَلِكِ وَفِي

مَجْلِسِ لَهْوِهِ وَشَرَابِهِ تَكَرَّعُ خَمْرُ مُمْفِيسِ الْمَعْتَقَةِ .

وَتَأْكُلُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ . وَتَتَمَتَّعُ بِمُشَاهَدَةِ أُسْرَابِ

الْغَوَانِي الْحُسَّانِ .

بيان : أَهَكَذَا تَكُونُ الْوَطْنِيَّةُ يَا سَاتَانَ . يَلُوحُ لِي

أَنَّنَا عَلَى طَرَفِي تَقْيِيزٍ فَدَعْنَا مِنْ هَذَا فَعَنْدِي مَا أُسِرُهُ

إِلَيْكَ .

حاجب : (يَدْخُلُ) سَيِّدِي وَصَلْ جَلَالَةُ الْمَلِكِ إِلَى الْقَاعَةِ الْكُبْرَى .

- ساتان : حسن . هيّا لمرافقة ركا به (يخرج الحاجب) .
- بيان : قلت لك عندي ما أسره إليك .
- ساتان : وما هو .
- بيان : إني أتوقعُ اقترافَ جريمةٍ في هذا الحصن .
- ساتان : دعْ عنك الأوهام .
- بيان : لا إخالها أوهاماً فإني عندما دخلتُ إلى هذا المكان رأيتُ نزيّتا الحسناءِ تخاطبُ طاهو بلهجةٍ جدّ وقد سمعتُ آخرَ كلمةٍ نطقَتْ بها وهي اقتلهُ .
- ساتان : ما أكثرَ وساوسك . لقد زينَ لك الوهمُ أن تسمعَ حديثَ غرامٍ فتحسبهُ حديثَ مؤامرةٍ على قتل .
- بيان : ما أحسبُ أذني خانتني فقد لمحتُ في عينيها بريقاً خاطفاً .
- ساتان : في عيني كل امرأةٍ حسناءٍ مثلُ هذا البريق
- ومن ذا الذي تظنُّ أنهما يتآمران على قتله .

- بيان : هذا ما لا أعلمه .
- سائقان : إن طاهو أشدَّ إخلاصاً للملك مَنِّي ومنك .
- بيان : قلبي لا يميلُ إلى هذا الرَّجلِ فإنَّ من خانَ بلادهُ لا يُحجُّمُ عن أن يَخونَ عدوَّه .
- سائقان : مالي أراك لا تتحدَّثُ إلَّا عن الجريمة والخيانة .
- بل مالي أراك على مِثْلِ هذه الأفكارِ السود . إن قلبَ الإنسانِ هو العَيْنانِ اللَّتان يُبْصِرُ بهما الناسَ والأشياءَ . فإن كان . . .
- بيان : (مقاطعاً) : فإن كان ماذا . . .
- سائقان : فإن كان مستودعاً للغبطةِ والفرحِ والمسرَّةِ رأى الدنيا موشَّحةً بغلالةٍ من الوردِ . كلُّ ما فيها جميل . وكلُّ مَنْ فيها شريفٌ مستقيمٌ فما عليه إلَّا أن يقطفَ ثمرَ الودِّ والبهجةِ من شجرةِ الحياة . أمَّا إن كان ذلك القلب . . .

بيان : (مقاطعاً) : إن كان ماذا . . .

ساتان : أَمَا إِنْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا لِلْخَوَاطِرِ الْحَالِكَةِ وَلِلْيَأْسِ
وَالشُّؤْمِ وَالْوَسْوَاسِ رَأَى الدُّنْيَا مَجْلَلَةً بِسُودِ الثِّيَابِ .
كُلُّ مَا فِيهَا قَبِيحٌ . وَكُلُّ مَنْ فِيهَا مُجْرِمٌ أَثِيمٌ .
فَالْجَرَائِمُ وَالْكُورَاثُ وَرَاءَ كُلِّ مَا تَتَنَاوَلُهُ يَدُهُ أَوْ
تَسْمَعُهُ أُذُنُهُ أَوْ تَشَاهِدُهُ عَيْنَاهُ .

بيان : لستُ يَا سَاتَانُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي تَصِفُهُ . وَإِنَّمَا أَنَا
رَجُلٌ أُعْطِيتُهُ الْإِلَهَةُ عَيْنَيْنِ لِيرَى . وَأُذُنَيْنِ لِيَسْمَعَ .
وَلِسَانًا لِيَتَكَلَّمَ . وَمَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَخَادَعَ نَفْسِي
فَأَرَى الْأَسْوَدَ فَأُوهَمُهَا أَنَّهُ أَيْضٌ وَأَسْمَعُ الْكَلَامَ
الْهُجَرَ فَأُؤَكِّدُ لَهَا أَنَّهُ رَقِيقٌ عَذْبٌ .

ساتان : وَتَرَى النَّاسَ فَتَحَسِبُهُمْ . . .

بيان : (مقاطعاً) : لَا أَحْسَبُهُمْ غَيْرَ مَا أَرَاهُمْ عَلَيْهِ . فَبَصَرِي
وَإِحْسَاسِي كَفِيلَانِ بَأَنْ لَا يُحِيدَا بِي عَنْ صَوَابِ

الرأي وسداد الحكم .

ساتان : مثال ذلك أنك ترى فتاة حسناء فتحسبها روحاً
من أرواح الشر... وتسمعها تحدثُ بعض عُشاقها
فتتصور أنها مؤامرةٌ على اقترافِ جريمة كما قلتُ
لك منذ قليل .

بيان : لا إخالني على ضلالٍ يا عزيزي ساتان .

ساتان : ومثال ذلك أيضاً أنك ترى رجلاً هرب من وطنه
لسببٍ من الأسباب . وانضمَّ إلى أعداء بلاده
يخدمهم وفيّاً صادقاً مخلصاً . فتأبى إلا أن تراه
متمرعاً في حِمَاتِ الغدر والخيانة ينتقلُ من خيانةٍ
إلى أخرى كأنه يفتاتُ بالإثم ويتنفسُ بالإجرام...
بيان : ما أقربنا مودةً يا عزيزي ساتان وما أبعدنا رأياً
وفكراً وخواطر .

ساتان : كلما أمعنَ المرءُ في التفكير وقلَّبَ الرأيَ في

ظواهر الأشياء وخوافيها أضاع فرصة من فرصِ
المرح والسرور . ولكن مالنا نتبادلُ الحكمِ
مُفتَتَيْنِ على الكُهانِ والسَّحرة . وتركِ
الاستمتاعِ بمباهجِ الحياة وما هي بالقليلة في هذه
القِلاع وفي ظلالِ الملك . . .

من الخارج : جلالة الملك . . . (يسمعان ضجة ووقع أقدام)

ساتان : (مستأنفاً) لقد جاء الملك وبطانته قبل أن نخرج إلى
لِقائه فلنستعدَّ لمقابلته . وحذار أن تفوه في حضرته
بشيء من حكمتك السوداء .

(يدخل بعض القواد ثم تمضي دقائق قليلة فيدخل الملك
أبوفيس ضاحكاً وإلى يساره قائد يسر إليه بعض الكلمات)

المشهد السابع

الملك وبطانته . ساتان . بيان .

الملك : ها ها ها طابت ليلتكم أيها الأبطالُ الشجعان

(إلى مخاطبه) وهكذا لاذ العدو بالفرار حرصاً على فلول

جيشه المنحدر .

: أجل يا مولاي .

القائد

: (يجلس) اجلسوا أيها القواد العظام . وتعالوا شاطروني

الملك

أفراح هذا الاجتماع (يجلسون ثم يوجه الكلام إلى بيان)

كيف حال كتبتك يا بيان ألا يزال لك المقام
الأول في أعين جنودك .

: أنا وجنودي وجميع كتائب الجيش فدى الملك .

بيان

: (يقهقه ضاحكاً) هذا كلامٌ بليغ (يقول لساتان) ما قولك

الملك

في هذا الكلام .

: هو الحقيقة بعينها .

ساتان

: املأوا الكؤوس واشربوها على ذكر انتصارنا

الملك

(الجميع يشربون)

: (متهمكاً) نشرب هذه الكأس في سر أولئك

ساتان

المجانين الذين يفكرون في افتتاح هذه القلاع .

(قهقهة وضحك)

: ألم يؤلوا الأدبار .

الملك

: لا يا مولاي ...

بيان

: (مقاطعاً) نعم يا مولاي . ولا أظنهم الآن إلا في

سباتان

طريقهم إلى ممفيس . فإذا اتهمنا من هذا الحفل
وأمرتنا تعقبنا أثرهم حتى طيبة .

: إنك عالم كبير بأسرار الحرب والفنون العسكرية .

الملك

ويوم أدخل طيبة منتصراً سأغمرُك بالنعم والهدايا .

(للجميع) اشربوها معي على شرف انتصارنا المقبل .

(الجميع يشربون)

: (إلى بيان) أما زلت مُصرّاً على عنادك وتشاؤمك

الملك

يا بيان . ها نحن أولاء قد انتصرنا على العدو فماذا

تقول الآن .

بيان

: إني يا مولاي ...

الملك

: لا تخشَ بأساً . فما أنا من ينكرُ عليك شجاعتك

وحسنَ بلائِكَ . . . لقد عَيَّنْتُكَ حاكماً على

ممفيس . . . هاهاها . . . ولكن أين طاهو إني

لا أراه بيننا .

سائقان

: سيأتي عما قريب يا مولاي .

بيان

: أتدرى أين هو فتجزم بقرب مجيئه .

سائقان

: لا أظنه يتخلفُ عن وليمةٍ دعانا إليها مولانا الملك .

الملك

: نعم لا بدَّ أن يأتي قريباً . (لبعضهم) كيف ترى

هذه الحمر .

بعضهم

: تفتحُ الشهوة .

الملك

: كلوا واشربوا وسابقوا ملككم في الفتك بهذا

الشِّواء . (ما يكون على المائدة)

بعضهم

: نفتكُ به كما فتكنا بهؤلاء المصريين .

الملك : مَرَحَى أَيُّهَا الْقَائِدُ الشُّجَاعُ (للجميع) املأوا

الكؤوس . (الجميع يشربون)

بعضهم : أَحَبُّ بِهِذِهِ الْحُمْرِ الْمَعْتَقَةِ فَمَا أَظُنُّ سُلَافَةً عَلَى وَجْهِ

الْأَرْضِ تُعَادِلُهَا مَذَاقًا . كَأَنِّي بِهَا عُنْتُتُ مِنْ عَهْدِ

سَلَاتِس^(١) .

ساعاتان : مَا أَلَذَّ نَشْوَةِ الشُّكْرِ مَعَ نَشْوَةِ النَّصْرِ .

الملك : أَيُّهُمَا تَفْضَلُ .

ساعاتان : كِلَاهُمَا يَشِيرُ الْهَمَمُ وَيَنْفُخُ الْأَوْدَاجُ وَيَعْلُو بِالْمَرْءِ إِلَى

مَصَافِ الْأَبْطَالِ .

قائد : فِي صَحَّةِ جَلَالَةِ الْمَلِكِ . (مترنحاً من شدة السكر)

الجميع : (يشربون إلا بيان)

الملك : تَقُولُونَ رَجِعْ جَيْشُ الْعَدُوِّ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذِهِ

الْحِصُونِ . (يضحك)

(١) أول ملوك الرعاة .

ساتان : نعم يا مولاي إنه يرجع القهقري لا يلوي

على شيء .

الملك : حَسَنَ حَسَنَ . (يهتز مسروراً) املأوا الكؤوس

واشربوا . ما بالكم متباطئين . (الجميع يشربون إلا بيان)

الملك : مالك يا بيان أحجمتَ عن الشراب .

بيان : ليس لي فيها يا مولاي كبيرُ رغبةٍ فإننا نبعثُ بها إلى

الجوف فتذهب إلى الرأس . (ضحك)

بعضهم : كَأَنِّي إِذَا أَشْرَبُهَا أَشْرَبُ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ .

ساتان : إِذَا كَانَ دَمُ الْأَعْدَاءِ لَذِيذًا طَعْمُهُ مِثْلَ هَذِهِ الْحُرِّ فَإِنِّي

أَقْرَحُ أَنْ نَذْبَحَهُمْ عَلَى بَكْرَةٍ أَبْيَهُمْ .

بعضهم : وَنَسْتَسْلِمُ إِلَى وَلَائِمٍ مَوْصُولَةٍ الْأَسْبَابِ .

الملك : اطمئنوا بالآ فإدام النصرُ حليفنا فلن تقطعَ عنكم

الولائمَ والمآدب . (الجميع) عاش الملك .

الملك : أَلَا تَرَوْنَ وَلِيْمَتَنَا يَنْقُصُهَا شَيْءٌ حَتَّى تَكُونَ عَلَى أَتَمِّ

رونق وصفاء .

: حَرَسَتْكَ الْآلَهُةُ يَا مَوْلَايَ أَتَكُونُ بَيْنَنَا وَينْقُصَ

سباتان

اجتماعنا شيء . إِنَّا لَن نَظْفِرَ بِاجْتِمَاعِ مِثْلِ هَذَا وَلَوْ فِي

العالم الآخر .

: (يأخذه السرور) أَعْرِفُ ذَلِكَ . نَعَمْ أَعْرِفُ ذَلِكَ .

الملك

ولكن ... يا غلام .

: لَبَّيْكَ يَا مَوْلَايَ .

الحاجب

: عَلَيْنَا بِالرَّاقِصَاتِ .

الملك

: سَمْعًا وَطَاعَةً . (يخرج)

الحاجب

: حَرَسَتْ الْآلَهُةُ مَلِيكَنَا الْهُمَامُ فَهُوَ لَا يَأْلُو جَهْدًا فِي

سباتان

أَنْ يَسْرَّ عِيْدَهُ الْمَخْلَصِينَ . (تدخل الراقصات فيرقصن

وفزيتا بينهما . الجميع وقد أخذتهم نشوة الخمر يحملقون بالراقصات)

: (لساتان) هَذَا مَا يَنْقُصُنَا أَيُّهَا الْغَيِّ . اشْرَبُوا .

الملك

(يقولها بغضب)

- قائد : في صحّة غواني أثاريس الحسان .
- الملك : بل في صحّة نساء العالم طرّاً .
- ساتان : (لبيان) أيهن أجمل .
- سامع : كلهنّ جميلات . فوحقّ سوتبخ لا أدري أيهنّ أجمل .
- ساتان : (لبيان) انظر هذه . لا شكّ إنها أجملهن . انظر إلى
- مِعْصَمِيهَا .
- سامع : يا ليتني مطوّقٌ بهما .
- الملك : (سكران قليلاً) سأكرمُكنّ إكراماً ما حامتنّ بمثله
- حتى لا تقلنّ إن الملك أپوفيس لا يَقْدُرُ الجمال .
- ساتان : لو سمح لي مولاي الملك أخبرته بشيءٍ يتمُّ أنسَ
- هذا المهرجان .
- الملك : قل .
- ساتان : نظم الشاعر « زيريس » نشيداً لطيفاً وعلمه هوّلاء
- الحسان فلو غنّينه بحضرتك .



الملك : لا بأس . نسمع الغناء . إِنَّكَ تُهَيِّبُ بِي إِلَى أَنْ أَجْرَبَ

صوتي في هذا الحفل .

سماطان : هنالك الفرحُ الأكبر .

الملك : أحقيقُ ما تقول .

سماطان : اسأل غيري .

الملك : نسمع النشيد . هَيَّا يَا حَسَانَ . (الراقصات ينشدن النشيد التالي)

يَهْنِيكَ يَا رَبَّ الدِّيارِ نصرُ كَسَبَتْ بِهِ الْفَخَارُ
لَاذَ الْأَعَادِي بِالْفِرَارِ لَمْ يُجِدْهُمْ طُولُ السَّهَرِ
قُومُوا إِلَى الْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا الْقَدَحَ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا الْفَرَحُ

* * *

(قائد وقد بلغ به السكر مبلغه يرقص ويعيد قول الراقصات « قوموا إلى الخمر » ثم يشرب

كأساً)

شَخَصُوا إِلَيْنَا بِالْعِيُونِ مِنْ تَحْتِ أَسْوَارِ الْحِصُونِ
فَكَأَنَّنَا السِّرُّ الْمَصُونِ مَا بَيْنَ أَعْطَافِ الْقَدَرِ

قَوْمُوا إِلَى الْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا الْقَدَحَ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا الْفَرَحُ

* * *

(القائد يعيد الكرة)

يَسُؤُوا وَمَا نَالُوا الْمُنَى بَقِيَتْ أَقَارِيسُ لَنَا
لَمْ يَكْسِبُوا غَيْرَ الْعَنَى وَالْمَوْتَ رَجْمًا بِالْحَجَرِ
قَوْمُوا إِلَى الْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا الْقَدَحَ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا الْفَرَحُ

* * *

لَوْ أَنَّهُمْ جَازُوا أَلْمِيَاهُ لَذَبَحْتَهُمْ ذَبْحَ الشَّيَاطِينِ
أَعْظَمُ بِسُوتِيخَ أَلِإِلَهِ أَنْ لَا يَقُودَكَ لِلظَّفَرِ
قَوْمُوا إِلَى الْخَمْرِ وَأَفْرِغُوا الْقَدَحَ
نَحْنُ عَلَى النَّصْرِ طَابَ لَنَا الْفَرَحُ

: (متلما)

الملك

أَيَّتُهَا الْحَسَانُ . لَقَدْ جَلَبْتَنَ لِأَفْعَدْتِنَا السَّرُورَ
بَأَصْوَاتِكِنَّ الرَّخِيمَةَ . غَدًا تَوَزَّعُ عَلَيْكَ الْهَدَايَا
وَالْحَلِقَانُ الذَّهَبِيَّةُ .

الراقصات : عاش الملك (يسمع ضجة في الخارج يفهم منها ما يأتي)

دعني أدخل .

لا يمكن .

ويحك دعني أدخل .

لا يدخل أحد على الملك في مجلس أنسه .

الملك : ما هذه الضجة . من ذا الذي يجسر أن يعكّر علينا

صفاء مجلسنا .

(يقتحم الباب جندي ويجري وراءه الحاجب متهراً)

الملك : (في شدة) ما هذا . (الجميع واجهون)

الجندي : مولاي عفواً لقد هاجمنا الأعداء .

الجميع : (باضطراب وجزع) الأعداء .

الجندي : هجموا علينا من باب الحصن الكبير

الملك : وحارس الحصن وكتيبته ماذا فعلوا .

الجندي : قتل الحارس يا مولاي .

: وَيُحَكِّمُ مَنْ قَتَلَهُ .

الملك

: قَتَلَهُ الْقَائِدُ طَاهُو يَامُولَاي . فَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَفْتَحَ

الجندي

البَابَ لِنَهْجُمِ عَلَى الْعَدُوِّ فَدَاخَلَتْ الْحَارِسَ الرَّيِّبَ
فَامْتَنَعَ . فَشَدَّ عَلَيْهِ طَاهُو بِسَيْفِهِ فَتَوَقَّى الْحَارِسُ
الضَّرْبَةَ ثُمَّ اسْتَلَّ حُسَامَهُ وَهَجَمَ بِهِ عَلَى طَاهُو .

: (مَتَشَنِّجًا) ثُمَّ مَاذَا أَتَاهَا الْآبِلَةُ . ثُمَّ مَاذَا ... قُل ...

الملك

أَسْرَعَ ...

: اسْتَمَرَّ طَاهُو وَالْحَارِسُ فِي مَبَارَزَةٍ دَامِيَةٍ . وَكُنَّا نَحْنُ

الجندي

حُرَّاسُ الْحَصْنِ فِي ذَهْوَلٍ شَدِيدٍ لَا نَعْرِفُ أَنْطِيعَ
أَمَرَ الْحَارِسُ أَمْرَ طَاهُو . فَهَذَا يَأْمُرُنَا بِفَتْحِ الْبَابِ
وَذَاكَ يَنْهَانَا عَنْهُ . وَكَانَتِ الْحِجَارَةُ الضَّخْمَةُ تَتَسَاقَطُ
عَلَى الْبَابِ تَسَاقُطَ الْمَطَرِ .

: (مَرْتَجِنًا) ثُمَّ مَاذَا أَتَاهَا الْأَحْمَقُ ...

الملك

: شَدَّ طَاهُو شِدَّتَهُ الْأَخِيرَةَ عَلَى الْحَارِسِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ

الجندي

رَأَيْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْعَدُوِّ قَدْ هَبَطَتْ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ
فَأَخَذْتُنَا عَلَى غِرَّةٍ وَانْدَفَعَتْ إِلَى الْبَابِ فَفَتَحَتْهُ
وَتَدَفَّقَ مِنْهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَأَعْمَلَ فِينَا الطَّعْنَ
وَالضَّرْبَ .

الملك : (في غضب) وطاهو . . .

الجندي : انضمَّ إلى صفوف الأعداء . ومشى في الطليعة
يَدُلُّهُمْ عَلَى الْمَسَالِكِ وَالشَّعَابِ . فَاسْرَعْتُ أَنَا أَخْبِرْكُمْ
بِالْأَمْرِ يَا مُوَلَايَ .

الملك : (متشججاً) دخل العدو القلعة وأنتم الذين ادَّعَيْتُمْ أَنَّ
الْعَدُوَّ ارْتَدَّ إِلَى مَمْفِيسَ بَلٍ إِلَى طَبِيعَةٍ . سَاتَانِ أَيَّهَا
الْأَبْلَهَ بَلِ أَيَّهَا الْخَائِنُ الْمَاكِرَ . (يهجم عليه ويخنقه) .

هييان : مُوَلَايَ إِنَّ الْوَقْتَ عَصِيبٌ . . . فَالْعَدُوُّ دَخَلَ الْقِلَاعَ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْهَرَبُ مُكْرَهِينَ . . .

الملك : أَجَلُ . الْهَرَبُ . إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ .

بيان : نهرُب من الباب السري الذي يُفْضِي إلى الصَّحراء .

فَتِي أَمِنَّا عَلَى نَفُوسِنَا نَظَّمْنَا صُفُوفَنَا وَاسْتَأْنَفْنَا الْقِتَالَ

الملك : (مضطرباً) هَيَّا بِنَا (الجميع يستعدون للهرب . بعضهم صريع الخمر

لا يستطيع الوقوف)

بيان : مَوْلَايَ يَبْنِيْنَا مَجْرُمٌ أَثِيمٌ يَجِبُ أَنْ نَعَاقِبَهُ قَبْلَ أَنْ نَهْرُبَ .

الملك : مَاذَا تَعْنِي . قُلْ أَوْجِزْ .

بيان : لَمَّا دَخَلْتُ هَذَا الْمَكَانَ رَأَيْتُ هَذِهِ الْخَائِنَةَ (يشير إلى

نزيتا بين الراقصات) تَحَدَّثُ طَاهُوَ وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ لَهُ

اقْتُلْهُ . فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي أَوْعَزْتَ إِلَى طَاهُوَ بِقَتْلِ

الْحَارِسِ . وَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هِيَ وَطَاهُوَ عَيْنًا مِنْ

عَيُونِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا .

الملك : وَيَحْ لِلشَّقِيِّ لَقَدْ أَنْزَلْتَهُ أَغْرَ مَوْضِعٍ مِنْ نَفْسِي

(إلى نزيتا) مَاذَا تَقُولِينَ أَيَّتُهَا النَّجِسَةُ . (يسمع من

بعيد أصوات الجنود وقعقة سلاحهم ونشيدهم)

بعضهم : بَدَارِ . بَدَارِ . الْفِرَارِ . الْفِرَارِ .

الجميع : الْفِرَارِ .

الملك : يجب أن نعاقب هذه الخائنة .

الجميع : تُقْتَلُ . تُقْتَلُ .

نزيتا : (يتملكها الرعب) هل تعتقدون أنني أنا القاتلة حتى أُقْتَلَ

(الجلبة تقترب)

بعضهم : الْفِرَارِ .

بعضهم : تُقْتَلُ .

بيان : يجب أن تتجرّعي جزاء ما جنته يداك يا أصل

الشرّ والبلاء .

(الجلبة تقترب كثيراً حتى لكأنها وراء الباب)

الملك : الْفِرَارِ . (يهرب هو وبعض حاشيته . يهجم بيان على نزيتا والخنجر

مجرد في يده ويهجم بضر بها)

نزيتا : (مرتعبة) إِلَيَّ يَا أَحْمَسُ . (يدخل أحمس فينقض على الضارب

فيتراجع هذا ثم يمتلىء المسرح بقواد أحمس والجنود)

المشهد الثامن

نزيتا . أحس . قواد أحس . جنود . بعض الأسرى من الرعاة .

أحس

: شُلَّتْ يَمِينُكَ يَا وَغْدَ (إلى نزيتا) شُكْرًا لِلْآلِهَةِ عَلَى
أَنَّهَا بَعَثَتْني قَبْلَ أَنْ يُغْمِدَ هَذَا الشَّرِيرَ الْأَثِيمَ خَنْجَرَهُ
فِي صَدْرِكَ . لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ لَوَجِبَ أَنْ تَحْزَنَ الْبِلَادُ
بَأْسِهَا عَلَيْكَ أَنْتَ يَا مَنْ كَابَدْتَ مَا كَابَدْتَ مِنْ
عَذَابٍ وَتَحَمَّلْتَ مَا تَحَمَّلْتَ مِنْ تَضْحِيَةٍ فِي سَبِيلِ
الْوَطَنِ . فَمَعَاذَ الْآلِهَةِ أَنْ يَنْسَى لَكَ الْوَطَنَ جَهْدُكَ
الْأَسْنَى وَجَهَادُكَ الْعَظِيمَ . سَتَعِيشِينَ فِي قَصْرِي
عَزِيزَةِ الْجَانِبِ مُحَاطَةً بِالْإِكْرَامِ وَالْإِجْلَالِ . وَلَسَوْفَ
تُغْدِقُ عَلَيْكَ الْهَدَايَا وَيَكُونُ لَكَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ فِي
الْبِلَادِ

نزيتا

: (مقاطعة) لِيَهْنِكَ هَذَا النَّصْرُ الْمَجِيدُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ .

لِيَهْنِكَ اسْتِقْلَالُ بِلَادِكَ عَلَى يَدَيْكَ. لَتَهْنِكَ أَخْتُكَ الَّتِي
تَتَرَقَّبُ عَوْدَتَكَ بِفَارَغِ الصَّبْرِ. ارْجِعْ إِلَيْهَا. وَفِرَّ لَهَا
أَسْبَابَ الْهِنَاءَةِ. كُنْ لَهَا الزَّوْجَ الْمَخْلَصَ الْأَمِينَ فَهِيَ
أَحَقُّ مِنِّي بِكَ ... تَذَكَّرْ يَوْمَ عَبَثْتَ بِفَوَادِي ...
تَذَكَّرْ يَوْمَ اتَّهَمْتَنِي بِالْخِيَانَةِ ... تَذَكَّرْ يَوْمَ شَتَّتَ
أَنْ تَطْرَحَنِي لِلْوَحُوشِ وَالطَّيْرِ. أَمَّا مَجَالِي الْعِظْمَةِ
وَمُظَاهَرُ الْمَجْدِ الَّتِي تُغْرِينِي بِهَا فَمَا كُنْتُ لَأَبَهُ لَهَا
مَا دُمْتُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْبِي قَلْبَكَ . (تضرب

نفسها بخنجرها . يسرع أحس فتقع بين يديه)

أحس : نزيता . نزيता . (تستيقظ قليلا)

نزيता : (همساً) أحس ... أحس ...

أحس : أنا هو أحس حبيبك .

نزيता : (تفتح عينيها قليلا) أحس أعفُ عن طاهو فقد ندم .

أحس : عفوتُ عنه فقد حاربَ في صفوفي حتى سقطَ قتيلاً .

نزيّتا : (بصوت منخفض متقطع) اذكرني يا أحس . . . اذكرني
أني أحببتك إلى آخر رمقٍ من حياتي . . . أموتُ
مرتاحة الصّدرِ قريرة العين . . . أموتُ بين يدي
حبيبي فدى وطني . (تنقلب ميتة)

أحس : ويلاه . (يصمت مدة في ذهول)

ابن أبانا : ماتت شهيدة الهوى والوطن .

أحس : (يستعيد جأشه فيخاطب القواد والجنود)

أيّها القوّاد والجنود . إن هذه الفتاة التي آثرت
الموت على الحياة هي نزيّتا ابنة حابي رحمتها الآلهة .
إنها لمثالٌ يُحتذى في الوطنية والتضحية وإنكار
الذات . فخلدوا ذكرها وحيوها فيها إيزيس منقذة
الوطن .

(يضرب النفير لحناً حزيناً فيركع الجميع مدة في صمت وحزن)

نفحات الودّ والتذكّار

لما فازت هذه الرواية بجائزة وزارة التربية والتعليم في المباراة التي عقدتها للتأليف المسرحي تفضل رهط من أصدقاء المؤلف وأحبابه فأقاموا له حفل تكريم زينه الخطباء والشعراء بآيات وسام من روائع البيان . وها نحن أولاء ننشر ما في أيدينا من نفحات ذلك التذكّار الكريم مشفوعة بعرفان البر ونث الشكر .

ولقد كان بين فرائد الشعر الذي ألقى في تلك السوق الكريمة قصائد ثلاث نسج برده كل منها المغفور له خليل مطران بلل الله ثراه والمغفور له الدكتور إبراهيم ناجي طيب الله ذكراه والأستاذ محمد مصطفى الماحي حياه الله ورعاه .

ونحن إذ نشبت في هذا المجال تلك الحرائد الثلاث ونردفها بالقصيدة التي شكرنا بها عطف الإخوان إنما نحرص على الإمام بالأضواء والظلال استكمالاً لصورة هذه الرواية وما انبثق حولها من فنون واستمتاعاً بنسمات الصبا وعبق الفضل والوداد .

قصيدة الخليل

يَفْسَحُ الرَّاحِلُونَ لِلْقَادِمِينَ أَحْسَنَ اللَّهُ حَظَّكُمْ يَا بَنِينَ
 احْفَظُوا غَيْبَنَا وَأَغْضُوا عَنِ التَّقْصِيرِ مِنَّا فِي شَوَظِنَا وَأَسْبِقُونَا
 نَحْنُ لَمْ نَخْتَرِ عَ جَدِيدَ الْمَعَانِي وَغَلَوْنَا فِي لَفْظِهَا تَحْسِينًا
 فَتَحَ الْفَنُّ كُلَّ بَابٍ حَدِيثٍ وَعَلَى عَهْدِهِ الْعَتِيقِ بَقِينَا
 فَخُذُوا أَنْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا أَعْطَى وَقُولُوا الطَّرِيفَ قَوْلًا مُبِينًا
 لُغَةً الضَّادِ لَا تَضِنُّ عَلَيْكُمْ إِنْ جَدَدْتُمْ بِكُلِّ مَا تَبْتَغُونَ
 كُلَّ يَوْمٍ يُصِيبُ فِي مَنْجَمٍ مِنْهَا الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ كَنْزًا دَفِينًا
 أَخَذَ الْغَرْبُ مِنْ مَعَاوِصِنَا الدَّرَّ وَفِي صَوْنِهِ أَجَادَ الْفُنُونَا
 وَهُوَ يَا بَنَى الْجُمُودَ يَوْمًا فَمَا لِلشَّرْقِ لَا يَسَامُ الْجُمُودَ قُرُونَا
 فَكِّرُوا فَكِّرُوا مَلِيًّا مَلِيًّا وَأَسْتَقِلُّوا بَوَحْيِكُمْ رَاشِدِينَا
 وَاسْتَمِدُّوا هُدَى سَجِيَّتِكُمْ وَأَتَّخِذُوهَا لَكُمْ نَصِيحًا أَمِينًا

فَإِذَا مَا أَنْشَأْتُمْ فَأَخْلُقُوا خَلْقًا تَكُونُوا حَقِيقَةً مُنْشَأِينَ
 ذَاكَ ذَاكَ أَلْتَجَدِيدُ لَا فَعْلُ مَنْ يَمْكُثُ فِي مَعْقِلِ الْقَدِيمِ سَجِينًا
 لَا وَلَا خَلَطُ مَنْ إِلَى الْفَضْلِ يَغْزُو خَلَطَهُ بِالْفَصَاحَةِ التَّهْجِينَا

* * *

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْفَتَى عِشْ وَزِدْنَا مُبْدِعَاتٍ عَلَى تَوَالِي السِّنِينَ
 وَلَيْكُنْ فَوْزُكَ الْعَتِيدُ لِمَا يَتَلَوُ مِنَ الْفَوْزِ طَالِعًا مَيْمُونًا
 «أَحْسُ الْأَوَّلُ» ابْتِدَاءً جَمِيلًا أَطْرَبَ السَّامِعِينَ وَالنَّاطِرِينَ
 سَقَتْ فِيهِ «طَرْدُ الرُّعَاةِ» مَسَاقًا زَادَ جِدَّ الْبَيَانِ عَقْدًا ثَمِينًا
 وَبَعَثَتْ الْأَشْخَاصَ بَعْثًا عَجِيبًا وَسَبَّكَتِ الْأَغْرَاضَ سَبْكًا رَصِينًا
 وَأَمَطَتْ الْحِجَابَ عَنْ أَيِّ سِرٍّ كَانَ فِي مُهْجَةِ الْفَخَّارِ مَضُونًا
 بَيْنَ نَثْرِ لَا عَيْبَ فِيهِ وَشَعْرِ مِثْلَ مَا تَشْتَهِي الْمَنَى أَنْ يَكُونَا
 كَلِمٌ مِنْ تَخَطَّفِ الْبَرْقِ يَسْبِقُنِ إِلَى مَوْقِعِ الْجَمَالِ الظَّنُونَا
 وَأَسَالِيبُ فِي الرِّوَايَةِ يُحْدِثُنِ سُرُورًا وَقَدْ أَسْلَنَ الشُّوْنَا
 وَحِوَارٌ يُبَلِّغُ الْعِظَةَ الْمُثَلَّى مِنَ الْأَوَّلِينَ لِلْآخِرِينَ
 وَخِتَامٌ تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُ بِعَبِيرٍ أَضَاعَهُ الدَّهْرُ حِينَا

قَدْ شَمَمْنَا لِحَبِّ « طَيْبَةٍ » فِيهِ نَفَحَ طِيبٍ أَذْكَى الْحَمِيَّةِ فِينَا
 إِنْ تَكُنْ هَذِهِ رِوَايَتَكَ الْأَوَّلَى لِي فَمَا الظَّنُّ بِاللَّوَاتِي يَلِينَا

قصيدة ناجي

خَبَّرِينَا خَمَائِلَ النُّوَارِ خَبَّرِينَا صَوَادِحَ الْأَطْيَارِ
 خَبَّرِينَا نَوَاضِرَ الْأَسْرِ إِذْ رَفَّ عَلَى خَدِّهِ النَّسِيمُ السَّارِي
 عَانَقَتْهُ مَعَ الْأَصِيلِ الْغَوَادِي وَجَلَّتْهُ كَصُورَةٍ فِي إِطَارِ
 خَبَّرِينَا بِاللَّهِ إِنْ قَصَرَ الْلفظُ وَخَانَتْ رَوَائِعُ الْأَشْعَارِ
 كَيْفَ يُجْزَى الْأَدِيبُ وَالْكَاتِبُ الْمُؤَدِّي هُوبٌ قَدْ بَاتَ قِبْلَةَ الْأَنْظَارِ
 وَالصَّدِيقُ الْمَاضِي لِأَرْوَعِ أَفْقٍ وَالْمَجَابِّي السَّبَّاقُ فِي الْمِضْمَارِ

* * *

أَيُّهَا الْكَاتِبُ الَّذِي يَكْتُبُ النَّارَ رِيحَ صَوْرٍ تَارِيخِنَا مِنْ نَارِ
 وَأَنْشُرِ الصَّفْحَةَ الْكَرِيمَةَ مَا لَوْهَا مَرَّةً مِدَادُ الْعَارِ
 إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَرْفُضُ الذَّلَّ وَتَأْبَى بَقَاءَهَا فِي الْأِسَارِ

كَمْ وَكَمْ حَلَّ أَرْضَنَا مِنْ نُسُورِ دَخَلَتْهَا دَوَامِي الْأَظْفَارِ
 كُلُّ نَسْرِ يَحُطُّ فِي شَكْلِ طَوْدٍ مُسْتَقَرٍّ مُهَيَّمِينَ جَبَّارِ
 اقْتَحَمْنَا جَلَالَهُ وَغَزَوْنَا وَدَّ كَكُنَّا شَوَاهِقِ الْأَسْوَارِ

* * *

إِنَّمَا «أَحْمِسُ» تَرَاثُ مِنَ الْمَجْدِ وَدُنْيَا غَنِيَّةٍ بِالْفَخَارِ
 هُوَ هَامٌ مُكَلَّلٌ بِالْمَعَالِي وَجَبِينُ مُتَوَجِّهِ بِالْفَارِ
 هُوَ مِصْرٌ وَكُلُّ مَا فِي حَنَائَا مِصْرَ مِنْ عَزْمَةٍ وَمِنْ إِضْرَارِ
 هُوَ مِصْرٌ وَكُلُّ مَا فِي خَفَائَا مِصْرَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ أَسْرَارِ
 بَارَكَ اللَّهُ «عَادِلًا» بَعَثَ أَلْمَا ضِيَّ نُورًا يُضِيءُ لِلْأَبْصَارِ
 فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَيَانَ بَدِيعٍ مُعْجَزٍ مِنْ خَوَارِقِ الْأَفْكَارِ
 عِظَةٌ وَهُوَ بِالْعِظَاتِ خَبِيرٌ سَمَرٌ وَهُوَ أَغْدَبُ السُّمَارِ

* * *

يَا أَدِيبَ الشَّبَابِ يَا مُرْسِلَ الشَّعْرِ قَوِيًّا كَزَاخِرِ التَّيَّارِ
 فَإِذَا مِنْ خَوَاطِرٍ عَبْقَرِيًّا تِ وَذَهْنٍ مُخَلِّقِ فَوَّارِ
 أَنَا عَنْ مَعْشَرِ الشَّبَابِ أَهْنِي وَأُحْيِي تَحْيِيَّةَ الْأَكْبَارِ

قصيدة الماحي

حَيُّوا بِأَكْرَمِ مَنْطِقٍ وَبَيَانٍ زَيْنَ الشَّبَابِ وَنُجْمَةَ الْفَتَيَانِ
 عَرَفَ الْقُضَاةُ لَهُ سُمُومَ مَكَانِهِ فَقَضَوْا لَهُ بِالسَّبْقِ فِي الْمِيدَانِ
 لِلَّهِ مَنْطِقُ «عَادِلٍ» فِي فَصْلِهِ سِحْرُ الْبَيَانِ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ
 أَذْنَى لَنَا تَارِيخَ عَهْدٍ قَدْ عَفَتْ آثَارُهُ فَهَوَ الْقَصِي الدَّانِي
 وَجَلَّا لَنَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ عَنْ فَتَى نُشِرَتْ مُحَاسِنُهُ مِنَ الْأَكْفَانِ
 أَوْلَى قَلَائِدِهِ يَتِيمَةً عَضْرَهُ وَلَهُ الْغَدَاةُ يَتِيمَةً الْأَزْمَانِ

* * *

لِلَّهِ «أَحْسُ» فِي جَلَالَةِ قَدْرِهِ أَحْيَيْتُهُ خَاطِرَةً وَحُسْنُ بَيَانِ
 مَلِكُ نَمَاهُ الْمَجْدُ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ صُورُ الْكَمَالِ وَعِزَّةُ التَّيَّجَانِ
 عَرَضَ الْجَمَالُ لَهُ وَطَافَ خِيَالُهُ فِي رَوْضَةِ مُلْتَقَى الْأَغْصَانِ
 شَرِبَ الْهَوَى فِيهَا نَمِيرًا صَافِيًا مِنْ كَفِّ غَانِيَةٍ وَرَخِصِ بَنَانِ

وَرَأَى الْحَيَاةَ بَغَيْرِ حُبِّ نِقْمَةٍ
وَتَنَازَعَتْهُ سَوْرَةُ الْحُبِّ الَّتِي
وَلَكُمْ أَدَالُ الْحُبِّ مِنْ ذِي سَطْوَةٍ
حَتَّى إِذَا مَلَكَ الْغَرَامُ قِيَادَهُ
وَبَدَا لَهُ حُلْمُ الْوِصَالِ حَقِيقَةً
هَتَفَتْ بِهِ الْأُوطَانُ وَهِيَ رَوَاسِفُ
الْقَوَا إِلَيْهِ زِمَامَهَا فِي مَوْقِفٍ
دَخَلَ الرُّعَاةُ عَلَى الْأُسُودِ عَرِينَهَا
وَتَدَلَّسَتْ أَرْضُ الْكِنَانَةِ وَارْتَوَتْ
فَتَجَاوَبَتْ أَصْدَاءُ مِصْرَ بِصِيحَةٍ
يَا لِلْبِلَادِ مِنَ الْعَدُوِّ يَسُومُهَا

* * *

فَتَبَدَّدَتْ أَحْلَامُ «أَحْس» وَأُنْقَضَى
نَاجِي فُؤَادًا قَسَمَتْهُ يَدُ الْهَوَى :
وَطَنِي . هَوَايَ . تَنَازَعَا قَلْبِي فَمَا
مَا كَانَ يَرْقُبُ مِنْ شَيْءٍ أَمَانِي
(يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ بِالْأَسْلُوبِ يَدَانِ)
رَثِيمًا لَهُ وَهُمَا بِهِ سَيَّانِ

أَشَقَى الْفَوَارِسِ فَارِسٌ يُغَشَى الْوَعَى
وَطَنِي . وَمَا وَطَنِي عَلَيَّ بِهِيْنِ
وَفُؤَادُهُ يَوْمَ الْوَعَى شَطْرَانِ
أُسُّ الْفَضَائِلِ نُصْرَةُ الْأَوْطَانِ

* * *

فَأَسْتَلَّ مِنْ جَنْبَيْهِ قَلْبًا دَامِيًا
وَطَوَى بِسَاطِ الْأَنْسِ لَمْ يَحْفَلْ بِمَا
قَادَ الْكِتَابُ فِي رَبِيعِ حَيَاتِهِ
وَالنَّفْسُ إِنْ شَغَلَتْ بِحِمْلِ عَظِيمَةٍ
جَمَّ الْمَشَاغِلِ دَائِمَ الْخَفَقَانِ
يَحْوِيهِ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانِ
لِلنَّصْرِ لَمْ يَرْهَبْ شَبَابَ سِنَانِ
فَارَتْ وَلَوْ أَنَّ الْمَنَى الْقَمَرَانِ

* * *

لَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخُ أَرْوَاعَ مَنْظَرًا
وَقَدْ أَدْلَهَمَ الْخَطْبُ وَأَغْتَرَّ الْعِدَا
وَتَجَمَّعُوا فِي حِصْنِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ
بَيْنَا يَدِ بَرٍّ أَعْرَهُ مُتَلَهِّفًا
طَلَعُوا عَلَيْهِ بِغَادَةٍ مَذْغُورَةٍ
قَالُوا أَصَبْنَاهَا تَعُسُّ وَتَرْتَمِي
هِيَ سِرُّ أَعْدَاءِ الْبِلَادِ وَمَا نَرَى
مِنْ حَزْمِهِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
بِعَتَادِهِ وَأَعْتَزَّ بِالْأَعْوَانِ
أَخَذُوا الْأَمَانَ بِهِ مِنَ الْحِدْثَانِ
لِلْحَرْبِ مِثْلَ تَلْهُفِ الظَّمَانِ
سَحَرَتْهُمْ بِجَمَالِهَا الْفَتَانِ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلِّ مَسْكَانِ
إِلَّا الرَّدَى عُقْبَى الْأَثِيمِ الْجَانِي

فَارْتَاعَ «أُحْمَسُ» حِينَ شَاهَدَ وَجْهَهَا
 وَجَدَ الَّتِي كَانَتْ نَعِيمَ حَيَاتِهِ
 فَأَجَالَ نَاطِرَهُ بِحَسْرَةٍ حَائِرٍ
 وَهُوَ الَّذِي رَاضَ الْأَسُودَ وَرَدَّهَا
 طَافَتْ بِهِ الذِّكْرَى فَهَاجَتْ وَجَدَهُ
 إِيَّاهُ «نَزَيْتَا» مَا صَنَعْتَ وَمَا أَرَى
 فَتَطَلَّعْتُ فِي عِزَّةٍ وَمَهَابَةٍ
 رُحْمَاكَ «أُحْمَسُ» لَسْتُ خَائِنَةً وَلَا
 إِنْ كَانَ حَظِّي فِي الْهَوَى قَدْ خَانَنِي
 أَوْ كَانَ يَأْسِي فِي هَوَايَ أَذَلَّنِي
 لَسْتُ ابْنَةَ النَّيْلِ الْوَفِيِّ إِذَنْ وَلَا
 إِنْ ابْنَةُ النَّيْلِ الْأَبِيِّ أُبَيَّةُ
 خُلِقْتُ كَمَا شَاءَ الْكَمَالُ طَهَارَةً
 حَطَّمْتُ قَلْبِي حِينَ نَارَعَنِي إِلَى
 وَرَضَيْتُ مِنْ دَهْرِي بِجِدِّ عَائِرٍ

وَتَمَلَّكَتُهُ لَوْعَةُ الْأُخْزَانِ
 قَدْ رَدَّهَا الْخِذْلَانُ لِلْكَفْرَانِ
 وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَخْشَ يَوْمَ طِعَانِ
 صَرَغَى تَحَاذِرُ غَضَبَةِ الْإِنْسَانِ
 وَالذِّكْرِيَّاتُ مُثِيرَةُ الْوُجْدَانِ
 بَعَثَ الْبِلَادَ بِأُحْمَسِ الْأَثْمَانِ
 وَتَسَكَّلْتُ فِي رِقَّةٍ وَحَنَانِ
 بِي عَنْكَ مِنْ شُغْلٍ وَلَا نِسْيَانِ
 فَرَجَعْتُ مِنْهُ بِفَادِحِ الْخُسْرَانِ
 يَوْمًا فَمَا زَلَّتْ بِي الْقَدَمَانِ
 سَقَى أَبِي مِنْ مَائِهِ وَسَقَانِي
 فِي الْخَطْبِ لَا تَمْشِي بِقَلْبِ جَبَانِ
 وَتَقَى وَإِخْلَاصًا وَصِدْقَ جَبَانِ
 سُوءُ الصَّنِيعِ وَلَذْتُ بِالْكِتْمَانِ
 وَمُنَى مُحْطَمَةٍ وَقَلْبٍ عَابِ

نَفْسِي عَلَى أَمْرِ عَظِيمِ الشَّانِ
وَحَمَاسَةِ الْأَجْنَادِ وَالْقُطَّانِ
بِالشَّرِّ بَلْ هِيَ عُصْبَةُ الشَّيْطَانِ
مَعْقُودَةٌ بِالنُّجُحِ وَالرُّجْحَانِ
وَضِعَا غَدَاةِ الرَّوْعِ فِي مِيزَانِ
فِي ذِلَّةِ الْمُضْطَرِّ لِلْإِذْعَانِ
مَا بَتُّ أَلْقَى مِنْ أَسَى وَأَعَانِي
وَتَحَدُّثُهُ مِنْ أَصْدَقِ الْخُلَصَانِ
حَتَّى غَدَا كَالْقَدْرِ فِي الْغَلِيَانِ
أَمْرًا وَلَوْ شِئْتُ الْفِدَى لَفَدَّانِي
طَوَعَ الْبَنَانِ فَسِرَ بَغَيْرِ تَوَانِ
وَبِرُوحِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

وَطَوَيْتُ حِينَ طَوَيْتُ عَهْدَ سَعَادَتِي
شَاهَدْتُ مُضَرَ عَلَى رِبَاطَةِ جَاشِهَا
أَمْسَتْ ضَحِيَّةَ عُصْبَةٍ مَنُهِومَةٍ
فَرَأَيْتُ خِدَعَتَهُمْ وَتِلْكَ وَسِيلَةَ
قَدْ يَرْجُحُ الرَّأْيُ الشَّجَاعَةَ إِنْ هُمَا
فَدَخَلْتُ فِي وَكْرِ الرُّعَاةِ كَأَنَّنِي
أَنَسُوا إِلَيَّ وَقَدْ تَدَاوَلَ سَمْعُهُمْ
فَخَتَلْتُ قَائِدَهُمْ بِلَفْظِ سَاحِرٍ
مَنْيَتُهُ بِسَعَادَةٍ مَوْصُولَةٍ
لَمْ يُخَفِ عَنِّي مِنْ دَخِيلَةٍ قَوْمُهُ
فَالْيَكِ «أَحْمَسُ» بَابَ «أَفْرِيسِ» غَدَا
وَأَقْبَلَ هَدِيَّةَ مَنْ فَدَتْكَ بِقَلْبِهَا

* * *

هَيْهَاتَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي إِمْسِكَانِي
قَنْصَ الْغَنِيمَةِ مِنْ يَدَيِ خَوَّانِ

فَارْتَدَّ «أَحْمَسُ» صَائِحًا فِي قُوَّةِ
مَهْلًا «نَزَيْتَا» لَسْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي

لَا خَيْرَ فِي نَصْرِ يَجِيءُ بِحِيلَةٍ
سَأْرِي الرُّعَاةَ غَدًا وَمَا أَدْنَى غَدًا
أَلْفَخْرُ عِنْدَ تَصَادُمِ الْأَقْرَانِ
فِي الْحَرْبِ مَا لَمْ تَشْهَدْ الْعَيْنَانِ

* * *

فَمَضَتْ «نَزِيَّتَا» بَعْدَ مَا قَدْ أَبْصَرَتْ
تَنْوِي مَعُونَتَهُ بِرَغْمِ إِبَائِهِ
حَتَّى إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ وَأَصْبَحَتْ
وَأَسْتَقْبَلَتْ «أَفْرِيسُ» «أَحْمِسُ» ظَافِرًا
أَلْفَى «نَزِيَّتَا» قَدْ أَتَتْ فِي عَوْنِهِ
وَرَأَى مُحَاسِنَهَا تَفِيضُ وَقَدْ بَدَا
نَادَى وَقَدْ هَاجَتْ لَوَاعِجُ شَوْقِهِ
هَيَّا إِلَى مَجْدٍ وَحُبِّ خَالِدٍ
فَتَلَفَّتْ فِي حَيْرَةٍ وَتَلَهَّفُ
قَالَتْ وَقَدْ حَبَسَ الْهَوَى نَبْرَاتَهَا
يَهْنِيكَ «أَحْمِسُ» مَا بَلَغْتَ مِنَ الْوَمَى
وَأَرْجِعْ لِرُؤُوسِكَ وَأَغْتَنِمْ فِي ظِلِّهَا

مِنْ رَأْيِهِ مَا لَيْسَ فِي الْحِسْبَانِ
أَكْرَمُ بِهَا فِي الْخَطْبِ مِنْ مَعْوَانِ
مُهْجِ الرُّعَاةِ فَرِيَسَةَ الْعُقْبَانِ
وَتَطَهَّرَتْ مِنْ حَمَاءِ الْأُدْرَانِ
مَا لَا تَفِيهِ بَدَائِعُ الشُّكْرَانِ
نُورُ الْوَفَاءِ بَوَاجِهِهَا الضَّحِيَانِ
لَكَ يَا «نَزِيَّتَا» غَايَةُ الْإِحْسَانِ
يُنْسِيكَ مَا قَاسَيْتِ مِنْ هِجْرَانِ
كَتَلَهَفِ الْمَقْصُوصِ لِلطَّيْرَانِ
رَفَقًا فَمَقَدَّ الْعَدَدِ الصَّنِيعِ لِسَانِي
فَأَسْلَمَ وَعِشْ إِنَّا كُفْتَرِقَانِ
صَفْوَةُ الْحَيَاةِ وَرَاحَةُ السُّلُوفَانِ

وَقَضَتْ بِطَعْنَةِ خِنْجَرٍ فِي صَدْرِهَا أَوْدَتْ بِهَا وَالْحُسْنُ فِي الرِّيعَانِ

* * *

هَذِي رِوَايَةً «أَحْمَسٍ» وَكَفَى بِهَا فِي صَفْحَةِ الْأَنْجَادِ مِنْ عُنْوَانِ
بَلْ هَذِهِ الذِّكْرَى الْجَمِيلَةُ فَاشْكُرُوا يَا قَوْمُ مَا أَوْلَتْ يَدُ «الْغَضْبَانِ»

قصيدة الغضبان

نَاجِ الْوَفَاءِ يُجِبُّكَ مِنْ عَلَيْهِ وَتَلَقَّ آيَ الشَّعْرِ مِنْ إِحْيَائِهِ
صُغِ مِنْهُ آيَاتِ الشَّنَاءِ وَإِنْ تَكُنْ دُرُّرُ الْبَلَاغَةِ لَا تَفِي بِثَنَائِهِ
حَسْبُ الْأَلَى عَظَفُوا إِذَا عَزَّ الشَّنَاءُ قَلْبٌ يَفِيضُ الْوُدَّ مِنْ سَوْدَائِهِ
وَلَرُبَّ وُدٍّ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبٍ دَلَّ الصَّحَابَ عَلَيْهِ فَيَضُ إِيَّاهُ

* * *

إِعْذِرْ أَخَاكَ إِذَا عَصَاهُ قَرِيضُهُ وَأَبَى عَلَيْهِ الْوَحْيَ جَمُّ حَيَاتِهِ
نَفَرَتْ ظِلْبَاهُ الشَّعْرِ مِنْهُ وَأَجْفَلَتْ عَنْ مَجْلِسٍ يُزْهِى بِعَيْنِ ظِلْبَائِهِ
الرَّانِيَّاتِ إِلَى الْبَيَانِ وَعَهْدُنَا بِالظُّبْيِ يَسْرَحُ فِي رُبَى صَحْرَائِهِ

الرَّامِيَاتِ بِكُلِّ أَكْحَلٍ نَاعِسٍ
 أَقْبَلْنَ يَجْزُرْنَ الْجَلَالَ بِمَحْفِلِ
 الْحَارِسِينَ النَّيْلَ مِنْ غَدْرِ الْعَدَى
 السَّائِرِينَ بِمَضَرٍ فِي سُبُلِ الْعُلَى
 الرَّافِعِينَ عَلَى الْجَدِيدِ بِيَانِهِمْ
 مِنْ نَازِلٍ عَقَدَ الْجُمَانَ وَشَاعِرٍ
 نَشِطُوا لِتَكْرِيمِ الْبَيَانِ وَأَهْلِهِ
 مَا جَاءَ بِالْحَجَرِ الْعَزِيزِ وَلَا أَتَى
 مَا فَازَ بِالنُّوقِ الْعَصَافِيرِ الَّتِي
 مَا طَارَ فَوْقَ الشَّجَبِ مُرْتَادًا وَلَا
 مَا سَنَّ فِي الْأَدَبِ الْحَدِيثَ شَرِيعَةً
 لَكِنَّهُ يَفْعُ أَشَادَ بَذِكْرِهِ
 كَبُرَ الْجَمِيلُ عَلَيْهِ حَتَّى اخْتَالَ فِي
 مَهْمَا أَجَادَ فَتَجَحُّهُ وَقَفَّ عَلَى
 يُخْفِي قَرَارَةَ نَفْسِهِ مُتَقَمِّصًا

قَلْبَ الْخَلِيِّ دَوَاوُهُ مِنْ دَائِهِ
 يَسْمَعْنَ فِيهِ السَّحَرَ مِنْ خُطْبَائِهِ
 يَحْمُونَ بِالْأَقْلَامِ مَوْرِدَ مَائِهِ
 وَالْمُوقِظِينَ الشَّرْقَ مِنْ إِغْفَائِهِ
 وَالتَّائِرِينَ عَلَى قَدِيمِ بَنَائِهِ
 مُتَبَوِّئِي فِي الشَّعْرِ أَوْجَ عِلَائِهِ
 فِي نَاشِئٍ عَدُوهُ مِنْ أُنْبَائِهِ
 بِالْمُعْجَزَاتِ وَلَا سَمَاءَ بَذِكَائِهِ
 أَغْرَتْ قَتَى عَبَسَ بَنِيْلَ رَجَائِهِ
 ذَرَعَ السَّدِيمَ مُحَلِّقًا بِفَضَائِهِ
 أَعْلَتْ مَكَانَتَهُ لَدَى عِلْمَائِهِ
 فِي النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ مِنْ خُلَصَائِهِ
 فَضْفَاضَ حُلَّتِهِ وَغَمَرِ رِدَائِهِ
 نَجَحَ الْمُمَثِّلِ فِي صَحِيحِ أَدَائِهِ
 رُوحًا سَرَى فِي لَحْمِهِ وَدِمَائِهِ

مُتَصَرِّفٌ بِالْقَلْبِ يُغْرِيه بِمَا
 فَإِذَا بَكَى مَا خَلَتْ إِلَّا أَنَّهُ
 وَإِذَا تَبَسَّمَ لِلْحَيَاةِ رَأَيْتَهُ
 وَإِذَا أَحَبَّ فَوَالَهُ مُتَدَلِّهٌ
 وَإِذَا تَحَمَّسَ لِلْفَضِيلَةِ أَوْ دَعَا
 وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبَ الْخِيَانَةِ مَرَّةً
 وَإِذَا انْظُرْتَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُحْشَرَجٌ
 وَإِذَا أَطْلَّ عَلَى الْعُصُورِ بَفَنِهِ
 صُورُ الْحَيَاةِ يُرِيكُهَا مَجْلُوءَةً
 هَٰذِي أَمِيرَتَهُمْ وَذَلِكَ شَيْخُهُمْ
 يَهْوَى وَيَطْبَعُهُ عَلَى أَهْوَائِهِ
 نَفْسٌ يُسِرِّي هَمَّهُ بِبُكَائِهِ
 يُضْفِي عَلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ سَرَائِهِ
 يَجِدُ السَّعَادَةَ فِي رِضَى حَسَنَائِهِ
 لِلْمَجْدِ شَاقُ النَّفْسِ رَجْعُ نِدَائِهِ
 كَرِهَتْهُ نَفْسُ الْحُرِّ مِنْ جُلُسَائِهِ
 أَبْصَرْتَ مَيْتًا جَائِدًا بِذَمَائِهِ
 أَحْيَا لَكَ التَّارِيخَ فِي عُظْمَائِهِ
 فِي فَنِّهِ الْعَالِي وَفِي إِقْدَائِهِ
 وَالنُّخْبَةَ الْبَاقُونَ شُهْبُ سَمَائِهِ (١)

* * *

فَنِّ تَوَارَثَهُ الْأَنَامُ وَجَاءَنَا
 حَتَّى تَعَهَّدَهُ بَوَارِفِ ظِلِّهِ
 أَلْفَنٌ مَعْقُودٌ لِمِضَرِّ لَوَاؤِهِ
 نِضْوًا يَهْيَبُ بِنَا إِلَى إِحْيَائِهِ
 بَلَدٌ يَعِيشُ أَلْفَنٌ فِي أَفْيَائِهِ
 فَهُوَ أَلْمَلِكُ وَنَحْنُ جُنْدُ لَوَائِهِ

(١) إلماع إلى المشثلة الكبيرة السيدة فاطمة رشدي وإلى الممثل القدير المغفور له

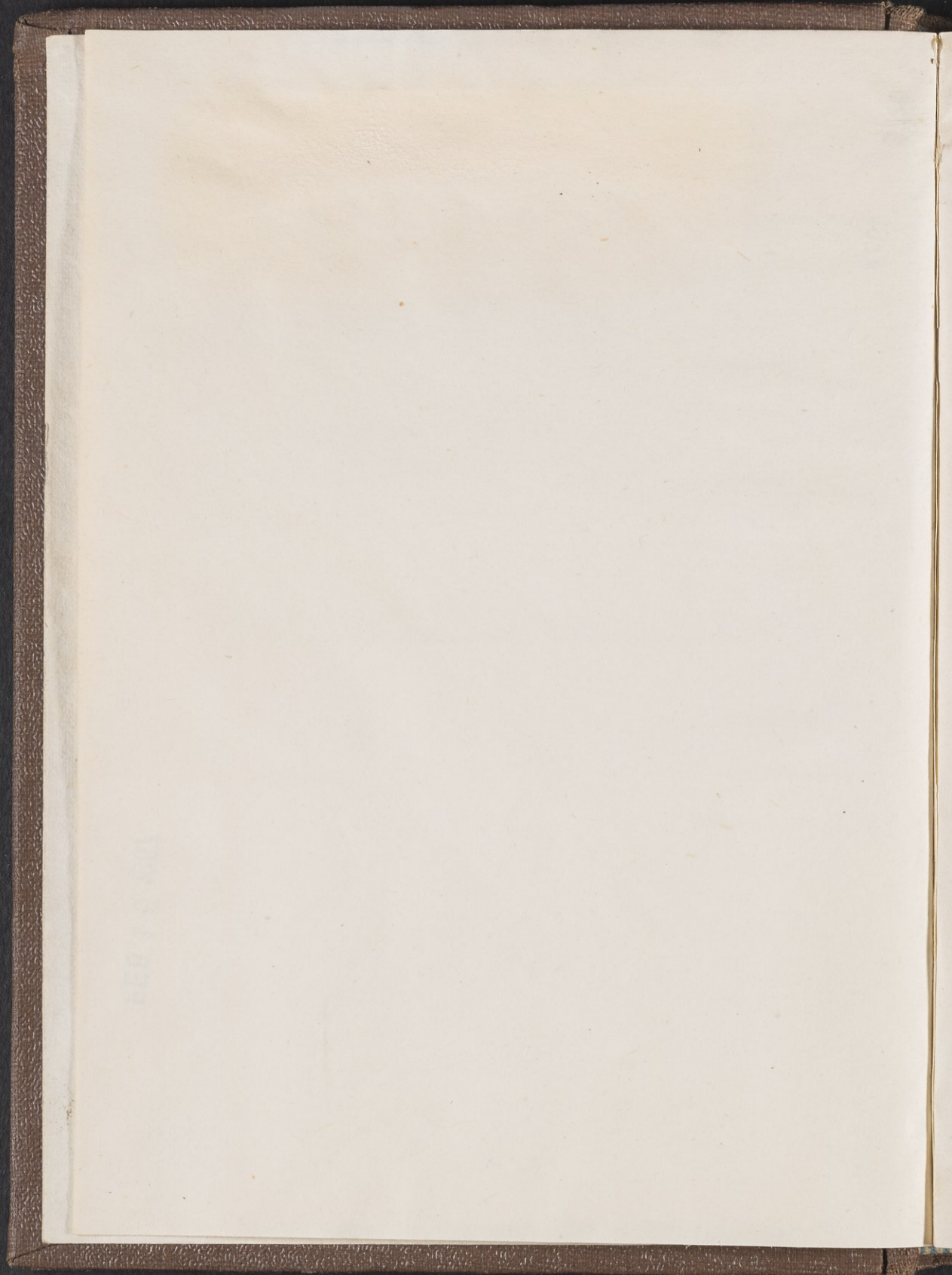
عزيز عيد وقد نهضت جوقتهما بتمثيل رواية «أحمس الأول» .

الفهرست

٥	.	.	.	.	.	المجلد والفن
٦	.	.	.	.	.	بيان
٨	.	.	.	.	.	أشخاص الرواية
٩	.	.	.	.	.	الفصل الأول
٦٠	.	.	.	.	.	الفصل الثاني
١١٣	.	.	.	.	.	الفصل الثالث
١٦٠	.	.	.	.	.	نفحات الود والتذكار
١٦١	.	.	.	.	.	قصيدة خليل مطران
١٦٣	.	.	.	.	.	قصيدة إبراهيم ناجي
١٦٥	.	.	.	.	.	قصيدة محمد مصطفى الماحي
١٧١	.	.	.	.	.	قصيدة عادل الغضبان
١٧٤	.	.	.	.	.	المراجع
١٧٥	.	.	.	.	.	الفهرست

المراجع

1. Encyclopaedia Britannica 1929.
2. **Harmsworth's** Universal History of the World.
3. **Breasted James H.** A History of the Ancient Egypt.
4. **Budge E.A.W.** A History of Egypt - Egypt under the Amenemhats & Hyksos, Vol III.
5. **Maspero G.** Histoire ancienne des peuples de l'Orient.
6. **P. de Hénaut.** Histoire de l'Egypte.
7. كتاب « الطب والتحنيط عند قدماء المصريين »



تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر
في مستهل شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥

AUC - LIBRARY



DATE DUE

[illegible]

MAR

1974

PJ

7826

H22

A5

1955

• الغضبان، عادل

• احسن الاول

Toti Nalil

73/605

DEC 9 1976

Hoda A-H.

Noonan (Staff)

31 JAN 1978

PJ

7826

H22

A5

1955

FEB 16 1987

